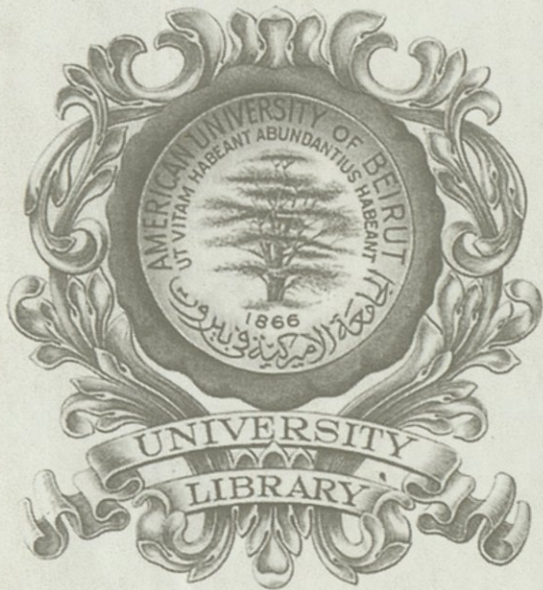
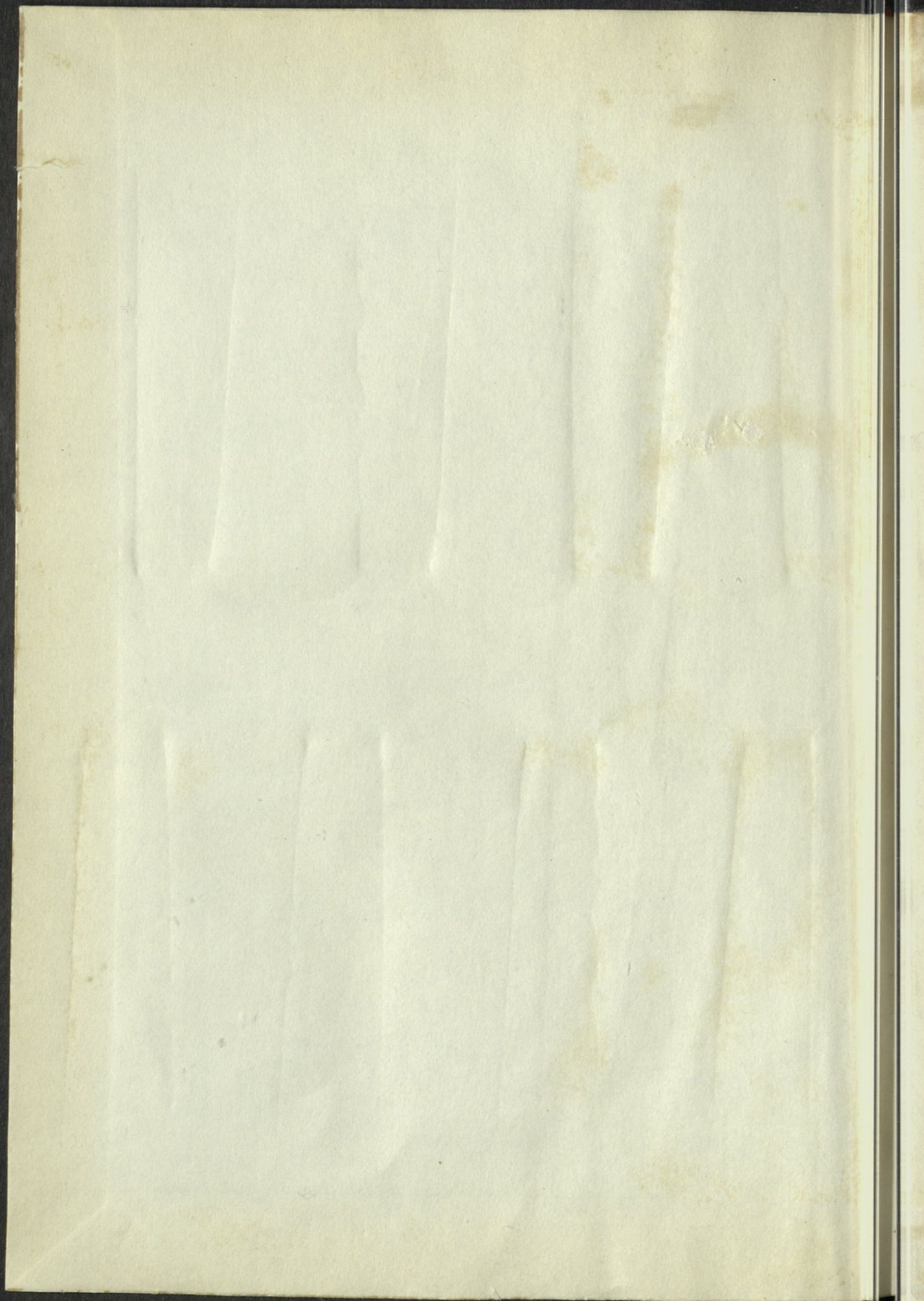


RAR-310

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT





8

1

9

0

1

2

3

4

5

6

7

8

9

0

1

2

3

﴿فهرست الكتاب وهو يشتمل على ثلاثة وثلاثين بابا﴾

صحيفة

ترجمة المؤلف

٠٣ مقدمة الكتاب

٩ الباب الاول في معرفة الانسان نفسه

١٥ « الثاني في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها

١٧ « الثالث في العناصر التي منها أوجد الانسان

٢٠ « الرابع في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان

٢٢ « الخامس في تكون الانسان شيئا فشيئا حتى يصير

انسانا كاملا

٢٦ « السادس في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصصه

بقوة شىء فشىء منها

٢٨ « السابع في ماهية الانسان

٣٠ « الثامن في كون الانسان مستصالحا للدارين

٣١ « التاسع في تمثيل ذات الانسان وتصويره

٣٨ « العاشر في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد

(ب)

صحيفة

ماعداه لاجله

٤٠ الباب الحادي عشر في الغرض الذي من اجله أوجد الانسان

ومنازلهم :

٤٦ « الثاني عشر في تفاوت الناس واختلافهم

٤٨ « الثالث عشر في سبب تفاوت الناس

٥٢ « الرابع عشر في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية

٥٤ « الخامس عشر في هداية الاشياء الى مصالحها

٥٧ « السادس عشر في سعادة الانسان ونزوعه اليها

٦٣ « السابع عشر في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها

٦٧ « الثامن عشر في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر

٧٠ « التاسع عشر في فضيلة الشرع

٧٣ « العشرون في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب

فليس بانسان

٧٧ « ال ٢١ في ما يتعلق به الشرع من الافعال

٧٩ « ال ٢٢ في تحقيق العبادة

- ٨٠ الباب الثالث والعشرون في انواع العبادة من العلم والعمل  
٨٥ « ٢٤ ال في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب  
صحتها  
٨٧ « ٢٥ ال في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا  
بالشرع  
٩٠ « ٢٦ ال في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي  
تحصل منها  
٩٢ « ٢٧ ال في كون الانسان مفطورا على اصلاح النفس  
٩٤ « ٢٨ ال في سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة  
٩٥ « ٢٩ ال في احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة  
والمذمومة وطرقها  
٩٨ « ٣٠ ال في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر  
١٠٣ « ٣١ ال في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة  
١١٠ « ٣٢ ال في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده  
١١٥ « ٣٣ ال في فضيلة الانسان اذا شرف على الملائكة

ترجمة المؤلف

قال في كشف الظنون تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة مختصر أوله الحمد لله الذي ارسل بالنبوة عبده ربه على ثلاثة وثلاثين بابا وفصل فيه النشأة الاولى والنشأة الأخرى

وقال عند ذكر كتاب مفردات الفاظ القرآن العزيز له قال السيوطي في طبقاته كان في أوائل المائة الخامسة ونقل عن خط الزركشي مانصه ذكر الامام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس في الاصول) ان الراغب من أئمة السنة وقرنه بالغزالي اه

وقال عند (ذکر الذريعة الى مكارم الشريعة) الذي هو كالمقدمة لكتابنا هذا على ما يظهر من اسلوب الكتابين قيل ان الامام حجة الاسلام الغزالي كان يستحب كتاب الذريعة دائما ويستحسنه لنفسه

وقال عند ذكر تفسيره هو تفسير معتبر في مجلد أو رد في أوله مقدمات نافعة في التفسير وطرزه (اسلوبه) انه أو رد جملا من الآيات ثم فسرها تفسيرامشبع وهو أحد ما أخذ انوار التنزيل للبيضاوي غير ان بعضهم جعل مفردات الراغب أحد ما أخذ القاضي البيضاوي في تفسيره ولا تنافي بين القولين وبالجملة فالامام الراغب ممن اجمعت على فضله العلماء الاعلام على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبيهم تقمده الله بالرضوان واسكنه فرايس الجنان ووفق ارباب الهمم العلية لنشر مؤلفاته والاستضاءة بنور مشكاته



CA

297.23

R142kA

كتاب  
تفصيل النشاطين

1905

﴿ و ﴾

تحصيل السعادتين

للامام أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل  
الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس المائة  
الخامسة قدس الله روحه آمين

طبع على نسخة منقولة عن نسخة خطية قدسية ومقابلة  
على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضى الدين  
ابن أبي بكر الحلبي سنة ٩٦٣

﴿ طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه ﴾

بالمطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣٢٣ هجرية

١٩٠٥



الحمد لله الذي ارسل بالنبوة عبده . وعلّمنا على لسانه حمده .  
 ورغبنا فيما عنده . ونسأله ان يُصلي على نبيه محمد وعلى آله وأن يهدينا  
 بأوضح دليل . الى أنجح سبيل . وبأقوى حجة . الى أوضح  
 محجة

قال الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب .  
 هذه رسالة في تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين  
 أما النشأتان فاحدهما المذكورة في قوله تعالى « ولقد علمتم  
 النشأة الاولى فلولا تذكرون » والثانية المذكورة في قوله تعالى  
 « ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير »  
 وأما السعادتان فاحدهما المذكورة في قوله تعالى « اذكروا  
 نعمتي التي أنعمت عليكم » والثانية المذكورة في قوله تعالى « وأما  
 الذين سعدوا ففي الجنة »  
 وقد عملت ذلك للاستاذ الكريم أيده الله لما رأيتُه معنياً

باكتساب الانسانية الموصلة الى السعادتین أعانه الله على استفادتها حتى يصير حاوياً لنوعها ومحامياً على معناها وصرعياً لخصائصها فقد كاد أو قد كان قولنا الانسان لفظاً مطلقاً على معنى غير موجود واسماً لحيوان غير معهود كعقلاء مغرب ونحو ذلك من الاسماء التي لا معاني لها كما قال تعالى في صفة الاصنام المسماة آلهة «ان هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان» وقال جل جلاله «ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتوها» فجعلها أسماء بلا مسمى ولم أعن بالانسان كل حيوان منتصب القامة عريض الظهر أماس البشرية ضاحك الوجه ممن ينطقون ولكن عن الهوى . ويتعلمون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم . ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . ويكتبون الكتاب بأيديهم ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق ويؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت . ويعبدون ولكن من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم . ويبیتون ولكن ما لا يرضى من القول . ويأتون الصلاة ولكن كسالى ولا يذكرون الله الا قليلاً . ويصلون ولكنهم من المصلين

الذين هم عن صلاتهم ساهون . ويدكرون ولكن اذا ذكروا  
لا يدكرون . ويدعون ولكن مع الله الهماً آخر . وينفقون ولكن  
لا ينفقون الا وهم كارهون ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبعون .  
ويخلقون ولكن يخلقون اذكا . فهو لاء وان كانوا بالصورة المحسوسة  
ناساً فهم بالصورة المعقولة لانس ولا نسناس كما قال أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . يا أشباه الرجال ولا رجال بل هم  
من الانس المذكور في قوله تعالى « شياطين الانس والجن يوحى  
بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » وما أرى البحرى اذا  
اعتبر جل الناس بالخلق لا الخلق مبعداً في قوله  
لم يبق من جل هذا الناس باقية ينالها الوهم الا هذه الصور  
ولا من يقول

فجلهم اذا فكرت فيهم حمير أو كلاب أو ذئاب

ولا تحسبن هذه الايات اقوالاً شعرية واطلاقات مجازية فان  
الله تعالى يقول « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم  
الا كالأناعام بل هم اضل سبيلاً » وقد أنبأت في هذه الرسالة عن  
جملة الموجودات ومكان الانسان منها ومبدأها ومنشأها ومنتهائها

وما جعل له من السعادة في الدارين باكتساب الانسانية وكيفية  
التطرق اليها وابتدأت بالتنبيه على وجوب معرفة الانسان ذاته  
فمن علم أن شيئاً ما هو مما يجب أن يعلم فإنه وإن لم يعلمه فقد يحصل له  
بذلك علم . فمن العلم ان تعلم أنك لا تعلم وعلم الانسان بجهله أحد  
العلمين \* قال ابن عباس رضى الله عنه . من لم يجد مس نقص الجهل  
في عقله وذل المعصية في قلبه ولم يستتب الخلة في لسانه عند كلال حده  
عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن دنية ولا يرغب عن حال معجزة  
ولا يكثر لفصل ما بين حجة وشبهة \* وبقدر معرفة منفعة الشيء  
يحرص الانسان على طلبه ويصبر على تحمل المشقة في تحصيله  
ولذلك قال الله تعالى في صفة من جهل نفع مطلوبه ( وكيف تصبر  
على ما لم تحط به خيراً ) فاعرف أيها الفاضل فضيلة الانسانية وما أعد  
من الفلاح لمن ترك كما قال تعالى ( قد أفلح من زكّاهها ) فإنها هي  
المسكارم لا قعبان <sup>(١)</sup> من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ  
ولا يتكاد نك <sup>(٢)</sup> بعد الشقة وفعل من يروك طاقه ورواقه

(١) مثق قعب وهو القدح الضخم (٢) تكادني الامر شق على

فان جاوزت كسوته اليه فليس وراء عبادان <sup>(١)</sup> قرية بل لا تراه الا  
عبدا لحجرٍ أو مدرٍ أو بهيمة أو ضعيفة كمن ذمه النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم بقوله . تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس  
وانتكس واذا شيك فلا انتقش . فأنتك في عنفوان شبابك ولدونة  
أغصانك

واعلم انه ليس يحسن بذى همة قد أحسن الله اليه في خلقه  
وخلقه وقبض له من رباه فاحسن تربيته وأزاح في معاونته بعد  
بلوغه عتته أن يرضى بأن يكون حيوانا وقد أمكنه أن يصير انسانا  
أو بأن يكون انسانا وقد أمكنه أن يصير ملكا أو بأن يكون ملكا  
وقد أمكنه أن يصير ملكا في مقعد صدق عند مليك مقتدر فتقوم  
الملائكة بخدمته كما قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من  
كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وفقنا الله لذلك  
ولا جمعنا من الكسالى الموصوفين بقوله تعالى ( لو كان عر ضا قريبا  
وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ) جعلنا الله  
واياك من المؤمنين الموصوفين بقوله تعالى ( هو الذى أنزل السكينة

(١) عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكتين في بحر فارس

في قلوب المؤمنين ) وبقوله ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم  
 بروح منه ) حتى لا تغتر بما هو كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء  
 حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

— تراجم أبواب الكتاب —

وهي ثلاثة وثلاثون بابا

- |    |    |   |
|----|----|---|
| ١  | ١  | في معرفة الانسان نفسه   |
| ٢٠ | ب  | في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها                         |
| ٣  | ج  | في العناصر التي منها أوجد الانسان                             |
| ٤  | د  | في قوة الاشياء التي جمعت في الانسان                           |
| ٥  | هـ | في تكون الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا              |
| ٦  | و  | في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصه بقوة شيء<br>فشيء منها |
| ٧  | ز  | في ماهية الانسان  |
| ٨  | ح  | في كون الانسان مستصلا للدارين                                 |
| ٩  | ط  | في تمثيل ذات الانسان وتصويره                                  |
| ١٠ | ي  | في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله      |

- ١١ يا في الغرض الذي من أجله أوجد الانسان ومنازلهم
- ١٢ يب في تفاوت الناس واختلافهم
- ١٣ يج في سبب تفاوت الناس
- ١٤ يد في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
- ١٥ يه في هداية الاشياء الى مصالحها
- ١٦ يو في سعادة الانسان ونزوعه اليها
- ١٧ يز في حال الانسان في دنياه وما يحتاج أن يزود منها
- ١٨ يح في تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما الى الآخر
- ١٩ يط في فضيلة الشرع
- ٢٠ ك في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس  
بانسان
- ٢١ كا في ما يتعلق به الشرع من الافعال
- ٢٢ كب في تحقيق العبادة
- ٢٣ كج في أنواع العبادة من العلم والعمل
- ٢٤ كد في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
- ٢٥ كه في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع



٢٦ كو في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي  
تحصل بذلك

٢٧ كز في كون الانسان منطورا على اصلاح النفس

٢٨ كح في سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة

٢٩ كط في أحوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة  
والمذمومة وطرقها

٣٠ ل في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر

٣١ لا في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة

٣٢ لب في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده

٣٣ لج في فضيلة الانسان اذا شرف على الملك

الباب الاول

في معرفة الانسان نفسه

قالت الحكماء مرة . أول ما يلزم الانسان معرفته نفسه

وقالوا مرة . أول ما يلزمه معرفة الله تعالى . وليس بين هذين

القولين منافاة فانهم عنوا بالأول حيث قالوا معرفة النفس الاول

من حيث الترتيب الصناعي وعنوا (بالاول أيضا) حيث قالوا معرفة  
الله الاول من حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي أفضل  
المعارف . وفي معرفة النفس اطلاع على أمور كثيرة  
أحدها . انه بواسطة يتوصل الانسان الي معرفة غيرها ومن  
جهلها جهل كل ما عداها

والثاني . ان نفس الانسان يجمع الموجودات كما نبين بعد فمن  
عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله تعالى ( أو لم يتفكروا  
في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل  
مسمى وان كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون) تنبيها على أنهم  
لو تدبروا أنفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفة حقائق الموجودات  
فانها وباقيها وعرفوا بحقيقة السموات والارضين ولما أنكروا  
البعث الذي هو لقاء ربهم قال الله ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي  
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) وقال ( وفي الارض آيات  
للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون )

والثالث ان من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفه صار في  
حكم المشاهد لله تعالى وهو يخلق السموات والارض ولم يكن

كالكفرة الجهالة الذين أشكاهم<sup>(۱)</sup> هذه المنزلة فقال فيهم (ما أشهدتهم  
خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ  
المضلين عضدا)

والرابع . انه يعرف بمعرفة روجه العالم الروحاني وبقائه وبمعرفة  
جسده العالم الجسداني وفناءه فيعرف خسة الفانيات وشرف  
الباقيات الصالحات

والخامس . ان من عرف نفسه عرف أعداءه الكامنة فيها  
المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم . أعدى عدوك نفسك التي بين  
جنبك فيستعيز منها . كما قال عليه الصلاة والسلام . اللهم الهمني  
رشدي وأعدني من شر نفسي . وقال . لا تكني الى نفسي طرفة  
عين فأهلك . ومن عرف أعداءه الكامنة ومكانها وكيفية انبعاثها  
أحسن أن يحترز منها وأن يجاهدتها فيستحق ما وعد الله به  
المجاهدين في سبيله ومن لم يعرفها فجدير أن يتراءى له عدوه الذي  
هو الهوى بصورة العقل فيتصور له الباطل بصورة الحق وقد قال  
النبي صلى الله عليه وسلم . الهوى شيطان بل قال هو إله يُعبد من

(۱) النكلى المرأة التي فقدت ولدها وأتكلمها الله جعلها نكلى

دون الله . وقد روى انه قال صلى الله عليه وسلم . ما عبد في الارض  
إله أبغضُ الى الله من الهوى ثم تلا ( أفرايت من اتخذ إلهه  
هواه )

والسادس . ان من عرف نفسه عرف أن يسوسها ومن  
أحسن أن يسوس نفسه أحسن أن يسوس العالم فيصير من خلفاء  
الله المذكورين في قوله تعالى (ويستخلفكم في الارض) ومن الملوك  
المذكورين في قوله تعالى (وجعلكم ملوكا)

والسابع . ان من عرفها لم يجد عيبا في أحد الارآه موجودا  
في ذاته اما ظاهرا منبعا أو كامنا فيه ككمون النار في الحجر فلا  
يكون همآزا ولآزا وعيبآ فان كل عيب تراءى له من غيره وجده  
في نفسه ومن رأى عيب نفسه فجدير أن يكون ممن دعا له النبي  
صلى الله عليه وسلم بقوله . رحم الله امرءا شغله عيبه عن عيوب  
غيره \* ومعرفة عيب النفس صعب من حيث ان كل انسان يحب  
نفسه وحبها لها يعنيه عن معايبها كما قال صلى الله عليه وسلم : حبك  
الشيء يعنى ويصم \* والأعمى والأصم عن عيب الشيء قد يعجب  
به . ولا ضرر أعظم من إعجاب المرء بنفسه وقد قال بعض الحكماء

الكاذب في نهاية البعد عن الحق والمرائي اسوأ حالاً من الكاذب  
 لأن الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائي يكذب بقوله وفعله .  
 قال . وأسوأ حالاً منهما المعجب بنفسه لان الكاذب والمرائي  
 قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه بوجه ولا نفع قد ينفع  
 وينجع وعظك فيهما لعلمهما بنفسهما . والمعجب بنفسه لجهله يظنك  
 في وعظك اياه ملغياً

. والثامن . ان من عرف نفسه فقد عرف الله تعالى فقد روى  
 انه ما أنزل الله من كتاب الا وفيه . اعرف نفسك يا انسان تعرف  
 ربك وهذا معنى قوله تعالى «سيريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم»  
 الآية \* وفي هذا الخبر ثلاث تأويلات . أحدها ان بمعرفة النفس  
 يتوصل الى معرفة الله عز وجل كقولك اعرف العربية تعرف الفقه  
 أي بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه وان كان بينهما وسائط  
 والثاني . انه اذا حصل معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله بلا  
 فاصل كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء فيكون الضوء مقترناً  
 بطلوعها غير متأخر عنها بزمان والثالث . ان معرفة الله تعالى ليست  
 تثبت الا أن تُعرف النفس لانك اذا عرفتها على الحقيقة فقد

عرفت العالم فاذا عرفت العالم عرفت انه محدث وان لا بد له من  
 محدث لا يشبهه المحدث بوجه وذلك هو غاية معرفة الله تعالى .  
 قالوا وعلى هذا دل معنى قول أمير المؤمنين كرم الله وجهه . ان  
 العقل لا قامه رسم القهودية لألا إدراك الربوبية ثم أنشأ يقول  
 كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار في القدم  
 هو الذي أنشأ الأشياء مبتدئاً فكيف يدركه مستحدث النسم  
 وقال أيضاً

العجز عن درك الإدراك ادراك والبحث عن سر ذات السر اشراك  
 وفي سرائر همات الوري همم عن ذا الذي عجزت جن وأملاك  
 يهدي اليه الذي منه اليه هدى مستدركاً وولى الله مدراك  
 وقال أبو بكر الصديق رضی الله عنه . يامن غاية معرفته  
 القصور عن معرفته . وقال الله تعالى «نسوا الله فأنساهم أنفسهم»  
 تنبيهها على انهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دل جهلهم  
 اياه على جهلهم اياها

الباب الثاني

( في ذكر أجناس الموجودات وموضع الانسان منها )

اعلم ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذي لا سبب لوجوده بل هو سبب كل موجود وكل موجود فمنه وبه تعالى وجوده والموجودات ضربان المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية وایجادہ تعالی للمعقولات العلوية قبل ایجادہ للمحسوسات السفلية كما روي انه أول ما خلق الله تعالى القلم ثم اللوح وقال أجر بما هو كائن الى يوم القيامة وروي انه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال بعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى ولك الثواب وعليك العقاب \* وليس المراد بالعقل ههنا العقول البشرية بل الإشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية وقال قوم العقل ههنا عبارة عن القلم المذكور في الخبر الآخر والله أعلم

ثم أوجد الله تعالى الروحانيات الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وایجاد هذه الاشياء على سبيل الابداع والابداع هو ایجاد الشيء لا عن شيء موجود من قبل ثم خلق الاركان الاربعة

والجمادات والنامیات والحیوانات وختم بالصورة الانسانية كما دل  
عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله خلق الله تعالى يوم الاحد كذا  
ويوم الاثنين كذا الى أن قال وخلق الانسان يوم الجمعة آخر النهار  
واخلق في أكثر الاحوال يقال في ايجاد الشيء من الشيء قبله كخلق  
الانسان من التراب ويقتضى تركيباً ولذلك قال الله تعالى (ومن  
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) والى الاشياء المركبة  
أشار بقوله تعالى (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج  
كریم) واعلم ان كل شيء من المبدعات فتام لا نقص فيه ولو كان  
فيه نقص لدل ذلك على نقصان مبدعه وصانعه فأما المخلوق الذي هو  
مركب من شيء فقد يحتمل أن يكون فيه نقص ويكون نقصه  
عارضاً من جهة ما تركب منه لا من جهة مركبه وفاعله فلها صارت  
المبدعات من الاشياء العلوية معرّاة عن اعتراض الفساد فيها حالاً  
فحالاً بل تبقى على حالتها الى أن يشاء الله تعالى أن يرفع العالم  
والانسان انساناً أحدهما آدم الذي هو بالبشر ويجري  
هو من سائر الناس مجرى البذر الذي منه انشئ غيره والباري  
تعالى قد تولى بنفسه ايجاده وتربيته وتعليمه كما نبه عليه بقوله تعالى



(ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وقوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) والثاني بنوه وموجدهم ايضا البارئ تعالى ولكن جعل انشاءهم وتربيتهم وتعليمهم جسمانية وروحانية فالجسماني كالأبوين والروحاني كالملائكة المدبرات والمقسمات الذين يتولون انشاءه وتربيته كما روى في الخبر الولد يكون اربعين يوما نظفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة ثم يبعث الله ملكا فينفخ فيه الروح الى غير ذلك من الاخبار . ولكون الابوين سببا في وجود الولد عظم الله تعالى حقهما والزم بعد شكره شكرهما فقال (اشكر لي ولو الديك) ويسمى الولد ابنا وهو مشتق من بنيت البنية تبيها على انه جار للاب مجرى البناء للباني

### الباب الثالث

( في ذكر العناصر التي منها أوجد الانسان )  
 ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبه على انه جعله انسانا في سبع درجات . وأشار الى ذلك في مواضع مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة فقال في موضع خلقه من تراب إشارة الى

المبدأ الاول . وفي آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء .  
وفي آخر من حماء مسنون اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادني تغير .  
وفي آخر من طين لازب اشارة الى الطين المستقر على حالة من  
الاعتدال يصلح لقبول الصورة . وفي آخر من صلصال من حماء مسنون  
اشارة الى ييسه وسمع صلصلة منه وفي آخر من صلصال كالفخار .  
وهو الذي قد اُصلح بأثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية  
حصل في الانسان اثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى دل بقوله (خلق  
الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار) فنبه على  
ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار وان  
الشيطان ذاته من المارج الذي لا استقرار له . ثم نبه الله على تكميل  
الانسان بنفخ الروح فيه فقال (اني خالق بشر من طين فاذا سويتُهُ  
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فهذه سبع درجات نبه عليها  
كما ترى . ثم دل على تكميل نفسه بالعلوم والاداب بقوله تعالى (وعلم  
آدم الاسماء كلها) ثم ذكر خلق بني آدم وعناصرهم التي اوجدها حالة  
بعد حالة فنبه على انه جعلهم اناسا في سبع درجات حسب ما جعل آدم  
عليه السلام فقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم

جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر) اشار به الي ما جعل له من قوة العقل والفكر والنطق . فان قيل فلم قال فكسونا العظام لحماً ولم يقل فخلقنا منه لحماً كما قال في الاول . قيل اشارة منه تعالى الى لطيفة من صنعه وهوان النطفة انتهت الى صورة العظم ثم انشأ الله اللحم انشاءً آخر لا من النطفة واجراها مجرى الكسوة التي قد يخلعها الانسان ويمجد دهاولذلك اذا قطع من الحيوان لحم عاد ولم يكن كالعظم الذي لا يعود بعد قطعه \* فان قيل كيف حكم على جميع الناس انه خلقهم من سلاله من طين والمخلوق منها هو آدم دون اولاده . قيل ان ذلك على وجهين احدهما انه لما خلق آدم من سلاله من طين فاولاده الذين منه هم أيضاً منها . والثاني ان الانسان يتكوّن من النطفة ويتربى بدم الطمث <sup>(١)</sup> وهما يتكوّنان من الغذاء والغذاء يتكوّن من الحيوان والحيوان من النبات والنبات من سلاله من طين فاذا الانسان على الحقيقة من سلاله من طين وعلى هذانبه الله تعالى بقوله (اناصبنا الماء

(١) الطمث الحيض

صباحاً ثم شققنا الارض شقاً فانبثنا فيها حبا وعنباً وقضباً . وقوله (ولقد  
 خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين) وقوله  
 (خلقكم من تراب ثم من نطفه) فجعله الله تعالى من تراب على هذا  
 الوجه وقال (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون)  
 وفي آخر (خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء  
 مهين . وعني بالانسان ههنا آدم ولذلك قال ثم جعل نسله . فاقصر  
 ههنا على النطفه دون المبدأ الاول الذي هو التراب . وانما ذكر  
 هذه المبادئ متفرقة لحكمة اقتضت تخصيص ذكرها في موضعها  
 الذي ذكرها فيه وليس شرح تخصيص ذكر كل واحد من ذلك  
 في موضعه مما يليق بهذا الكتاب

— ❦ — الباب الرابع ❦ —

( في ذكر قوي الاشياء التي جمعت في الانسان )

الانسان قد جمع فيه قوى العالم وأوجد بعد وجود الاشياء التي  
 جمعت فيه وعلى هذانبه الله تعالى بقوله (الذي احسن كل شيء خلقه  
 وبدأ خلق الانسان من طين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي تقدم

ذکره . وقد جمع الله تعالى في الانسان قوي بسائط العالم وصر كباته  
وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته . فالانسان من حيث انه  
بوساطة العالم حصل ومن اركانه وقواه أو جده هو العالم . ومن حيث انه  
صغر شكاه وجمع فيه قواه كالمختصر من الكتاب هو الذي قلل لفظه  
وأستوفى معناه . والانسان هكذا هو اذا اعتبر بالعالم ومن حيث انه  
جعل من صفوة العالم ولبابه وخالصته وثمرته فهو كالزبد من المخيض  
والدهن من السمسم فما من شيء الا والانسان يشبهه من وجه فانه  
كالاركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .  
وكالمعادن من حيث ما هو جسم . وكالنبات من حيث ما يتغذي  
ويتربي . وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذو ويتألم .  
وكالسبع من حيث ما يحرض <sup>(١)</sup> ويغضب . وكالشيطان من حيث  
ما يغوى ويضل . وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده  
ويخلفه . وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التي  
كتبها فيه على سبيل الاختصار . فقد ذكر بعض الحكماء في بدن  
الانسان أربعة آلاف حكمة وفي نفسه قريبا من ذلك . وكالقلم من

(١) حرض ككرم طال همه وسقمه

حيث ما ثبت بكلامه صور الاشياء في قلوب الناس كما ان القلم يثبت  
الحكم في اللوح المحفوظ \* ولكون الانسان من قوى مختلفة قال الله  
تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج) أى مختلطة من قوى اشياء  
مختلفة. ولكون العالم والانسان متشابهين اذا اعتبر اقل الانسان  
عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم  
الا كنفس واحدة) فاشار بالنفس الواحدة الي ذات العالم. ولما كان  
كل مركب من اشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بوجود  
فيهن على انفرادهن كالمركبات من الادوية والاطعمة كذلك في نفس  
الانسان حصل معنى ليس في شىء من موجودات العالم وذلك المعنى  
هو ما يختص به من خصائصه التي بها تميز عن غيره من هيات  
له كانتصاب القامة وعرض الظفر وانفعالات له كالضحك  
والحياء وافعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب  
الاخلاق

الباب الخامس

في تكوين الانسان شئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً  
الانسان يكون اولاً جماد اميتاً قال الله تعالى (وكنتم امواتاً

فأحياكم) وذلك حيث كان ترابا وطينا وصلصالا ونحوها . ثم يصير نباتا ناميا كما قال الله تعالى (والله انبتكم من الارض نباتا) وذلك حيث ما كان نطفة وعلقة ومضغة ونحوها . ثم يصير حيوانا وذلك حيث ما يتبع بطبعه بعض ما ينفعه ويحترز من بعض ما يضره . ثم يصير انسانا مختصا بالافعال الانسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع نحو قوله (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) الآية . وقوله (اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) فأول ما يظهر فيه قوة النزاع الموجود في النبات والحيوان ثم قوة تناول الموافق ودفع المخالف ثم الحس ثم التخيل ثم التصور ثم التفكير ثم العقل فهو لم يصير انسانا الا بالفكر والعقل الذي به يميز بين الخير والشر والجميل والقبيح . والى العقل اشار الله تعالى بقوله (وصوركم فأحسن صوركم) فالانسان بفعله صار معدن العلم ومركز الحكمة ووجود العقل فيه في ابتداء الامر بالقوة كوجود النار في الحجر المحتاج في ان يري<sup>(١)</sup> الى الاقتداح وكوجود النخل في النوي المحتاجة في ان تثمر الى غرس وسقي .

(١) من وري الزند اخرجت ناره .

وكوجود الماء تحت الارض المحتاجة في الاستقاء منه الى حفرة \*  
وتقس الانسان واقعة بين قوتين قوة الشهوة وقوة العقل . فبقوة الشهوة  
يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والسفاد والتغالب  
وسائر اللذات العاجلة . وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والافعال  
الجميلة والامور المحمودة العاقبة . والى هاتين القوتين اشار الله تعالى  
بقوله ( انا هديناه السبيل إما شاكرا واما كفورا ) وبقوله  
( وهديناه النجدين )

ولما كان من جبلة الانسان ان يتحرى ما فيه اللذة وكانت اللذات  
على ضربين احدهما محسوس كلذة المذوقات والموسسات المشمومات  
والمسموعات والمبصرات وهي من توابع الشهوة الحيوانية والثاني  
معقول كلذة العلم وتعاطى الخير وفعل الجميل . واللذات المحسوسة  
اغلب علينا لكونها اقدم وجودا فينا لانها توجد في الانسان قبل ان يولد  
وهي ضرورية في الوقت ولذلك قال الله تعالى ( يحبون العاجلة ويذرون  
الآخرة ) ولذلك يكرهها كثر الناس ما يأمرون به العقل ويميل الى ما يأمرون به  
الهوى حتى قيل العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع . ولذلك  
قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .



ولذلك يحتاج الانسان ان يقاد في بدا امره الى مصالحة بضرب من القهر حتى قال صلي الله عليه وسلم يا عجباً لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل .  
فحق الانسان ان يجاهد هواه الى ان يقتحم العقبة فيتخلص حينئذ  
من اذاه

والنفس نظران نظر الى فوق نحو العقل ومنه تستمد المعارف وتميز بين المحاسن والقبايح فعترف كيف تتحري المحاسن وتتجنب القبايح . ونظر الى تحت نحو الهوي وبه تنسى الحقائق وتألف الخسيسات بل القاذورات . والنفس متى كانت شريفة ادامت النظر الى فوق كما ذكرنا ولا تنظر الى مادونها الا عند الضرورة ولا تتناول اللذات البدنية الا بحسب ما يرسمه العقل المستمد من الشرع او اذا كانت دنية أكثر الميل الى الشهوات البدنية فيحدث ذلك لها اذا عانا وانقيادا للشهوات فيستعبدها الهوى كما قال الله تعالى (أفأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) وانما اضله بعد ان اتخذ الهه هواه وجعله عبداً لأغراض دنيوية كما قال النبي صلي الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم الخبر ومن هذا العبودية استاذ ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال (وأجنبني وبنى أن نعبد الا صنم)

## ﴿ الباب السادس ﴾

في ظهور الانسان في شمار الموجودات ونخصيصه بقوة شيء فشيء منها  
ذات الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات صاروعاء  
معاني العالم وطينة صورده ومعدن آثاره ومجمع حقائقه وكأنه سر كب  
من جمادات ونباتات وبهائم وسباع وشياطين وملائكة ولذلك قد يظهر  
في شعار كل واحد من ذلك فيجري تارة مجرى الجمادات في الكسل  
وقلة التحرك والانبعاث وعلى هذانبه الله تعالى بقوله (ثم قسمت قلوبكم  
من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقد يظهر في شعار النباتات  
الحميدة أو الذميمة فيصير اما كالاترج <sup>(١)</sup> الذي يطيب حمله ونوره <sup>(٢)</sup>  
وعوده وورقه أو كالنخل والكرم فيما يؤتى من النفع أو كالكشوت  
<sup>(٣)</sup> في عدم الخير أو كالحنظل في خبث المذاق وعلى هذانبه الله تعالى  
بقوله (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى  
اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون

(١) الاترج فاكهة معروفة أو احده أترجة (٢) التوت الزهر (٣) الكشوت  
يفتح الكاف وضمها نبت يتفلق بالاغصان لا عرق له ولا ورق لا نسيم ولا ظل  
ولا زهر وهو يفسد الثمار ويضر الاشجار

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتت<sup>(١)</sup> من فوق الارض مالها من  
 قرار) ويظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة والمذمومة فيصير اما  
 كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضاره وفي حسن سياسته قال  
 الله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا  
 ومن الشجر ومما يعرشون) أو كالطير المسمى بأبي الوفا أو كالخنزير  
 في الشره أو كالذئب في العيث أو كالكلب في الحرص أو كالنمل  
 في الجمع أو كالفار في السرقة أو كالثعلب في المراوغة أو كالقرد في  
 المحاكاة أو كالحمار في البلادة أو كالثور في الفظاظة وعلى هذا  
 النحو من المشابهات دل الله بقوله « وما من دابة في الارض ولا  
 طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء  
 ثم الى ربهم يحشرون » ويظهر تارة في شعار الشياطين فيغوى  
 ويضل ويسول بالباطل في صورة الحق كما دل الله تعالى بقوله  
 « شياطين الجن والانس يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول  
 غرورا » وانما يكون انسانا اذا وضع كل واحد من هذه الاشياء  
 في موضعه حسب ما يقتضيه العقل المرتضى المستبصر بنور الشرع

(١) الجث القطع أو اتزاع الشجر من اصله

## ﴿الباب السابع﴾

في ماهية الانسان

ماهية كل شئ تحصل بصورته التي يتميز بها عن اغياره  
 كصورة الصورة والسكين والسيف والمنجل ونحوها ولما كان  
 الانسان جزئين بدن محسوس وروح معقول كما نبه الله تعالى  
 عليه بقوله « انى خالق بشرا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه  
 من روحي فقعوا له ساجدين » كان له بحسب كل واحد من الجزئين  
 صورة فصورته المحسوسة البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر  
 وتعري البشرة عن الشعر والضحك وصررته المعنوية الروحانية  
 العقل والفكر والرؤية والنطق قالوا فالانسان هو الحيوان الناطق  
 ولم يعنوا بالناطق اللفظ المعبر به فقط بل عنوا به المعاني المختصة بالانسان  
 فعبروا عن كل ذلك بالنطق فقد يعبر عن جملة الشئ بأخص ما فيه أو  
 بأشرفه أو بأوله كقولك سورة الرحمن وسورة يوسف وسورة  
 لا يلاف ونحو ذلك فالانسان يقال على ضربين عام وخاص فالعام  
 ان يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم

والخاص ان يقال لمن عرف الحق فاعتقده واخبر فعمله بحسب وسعه  
وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً وبحسب  
تحصيله يستحق الانسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالانسان  
فيقال فلان اكثر انسانية . وكما يقال الانسان على وجهين يقال له  
الحيوان الناطق على وجهين عام ويراد به من في قوة نوعه استفادة الحق  
واخبر كقولك الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار اى هو الذي  
في قوته استفادة الكتابة . وخاص ويراد به من حصل الحق فاعتقده  
واخبر فعمله كما يقال زيدهو الكاتب دون عمرو اى هو المختص بعلم  
الكتابة . وكذا يقال له عبد الله على وجهين عام ويراد به الحيوان  
المعرض لارتسام أو امر الله ارتسم أو لم يرتسم وهو المشار اليه بقوله  
تعالى (ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبداً) وخاص  
وهو المرتسم لاوامر الله تعالى كما قال سبحانه (ان عبادي ليس لك  
عليهم سلطان وكذا يقال له حى وسميع وبصير ومتكلم وعاقل كل  
ذلك على وجهين يقال عام وهو لمن له الحياة الحيوانية التى بها الحس  
والتخيل والنزوع والشهوة و لمن سمع الاصوات و لمن يدرك الالوان  
و لمن يفهم الكافة بما يريده و لمن له القوة التى يتبعها التكليف والثانى

يقال له خاصا وهو لمن له الحياة التي هي العلم المقصود بقول الله تعالى  
 ( لينذر من كان حيا ) وله السمع الذي به يسمع حقائق المعقولات  
 والبصيرة التي بها يدرك الاعتبارات واللسان الذي به يورد التحقيقات  
 وهي التي تفاهها عن الجهلة الكفرة في قوله تعالى ( صم بكم عمي فهم  
 لا يعقلون )

﴿ الباب الثامن ﴾

في كون الانسان مستصحا للدارين

الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقه تصليح للدارين  
 وذلك ان الله تعالى قد اوجد ثلاثة أنواع من الاحياء نوع الدار الدنيا  
 وهي الحيوانات ونوعا للدار الآخرة وهو الملائكة الاعلى ونوعا  
 للدارين وهو الانسان فالانسان واسطة بين جوهرين وضع وهو  
 الحيوانات ورفيع وهو الملائكة فجمع فيه قوي العالمين وجعله  
 كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارة والمنازعة  
 وغير ذلك من اوصاف الحيوانات. وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة  
 الرب والصدق والوفاء ونحو ذلك من الاخلاق الشريفة ووجه  
 الحكمة في ذلك انه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه

وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته اقتضت الحكمة ان يجمع له القوتين فانه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صالح لعبادة الله تعالى وخلافته كما لم يصلح لذلك البهائم ولا لمجاورته ودخول جنته. ولو خلق كالملائكة معري عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى في جوابهم «انى أعلم ما لا تعلمون» فاقتضت الحكمة الالهية ان يجمع له القوتان وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على ان الانسان دنيوى واخروى وانه لم يخلق عبثا كما نبه الله عليه بقوله «أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون»

### ﴿ الباب التاسع ﴾

في تمثيل ذات الانسان وتصويره

قد ذكر الحكماء لذات الانسان وقواها مثالا لصور وهابها فيتمثل كل ما لا يدرك الا بالعقل بتصور الحس ليقرب من الفهم فقالوا ذات الانسان لما كان عالما صغيرا كما تقدم جرى مجرى بلد أحكم بناؤه وشيد بنيانه وحصن صورته وخطت شوارعها وقسمت محاله وعمرت بالسكان دوره وسلكت سبله وأجريت

انهاره وفتحت اسواقه واستعمات صناعه وجعل فيه ملك مدبر  
 وللملك وزير وصاحب بريد واصحاب اختار وخازن وترجمان  
 وكتاب وفي البلد اخيار واشراره فصناعها وهي القوى السبعة التي  
 يقال لها الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والمانية والعادية والمصورة  
 والملك العقل ومنبعه من القلب. والوزير القوة المفكرة ومسكنها  
 وسط الدماغ. وصاحب البريد القوة المتخيلة ومسكنها مقدم  
 الدماغ. واصحاب الاخبار الحواس الخمس ومسكنها الاعضاء  
 الخمس. والخازن القوة الحافظة ومسكنها خلف الدماغ. والترجمان  
 القوة الناطقة وآتها اللسان. والكتاب القوة الكاتبة وآتها اليد  
 ومسكنها الاخبار والاشرار هي القوى التي منها الاخلاق الجميلة  
 والاخلاق القبيحة وكما ان الوالي اذا تزكى وساس الناس بسياسة  
 الله صار ظل الله في الارض كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 السلطان ظل الله في الارض ويجب على الكافة طاعته كما قال الله  
 تعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » كذلك  
 متى جعل العقل سائسا وجب على سائر قوي النفس ان تطيعه .  
 وكما ان الله تعالى جعل الناس متفاوتين كما نبه الله تعالى عليه بقوله



«ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا»  
 كذلك جعل قوى النفس متفاوتة وجعل من حق كل واحدة ان  
 تكون داخله في سلطان مافوقها متأمرة على مادونها فحق القوة  
 الشهوانية ان تكون مؤتمرة للقوة الغضبية وحق القوة الغضبية  
 ان تكون مؤتمرة للقوة العاقلة وحق القوة العاقلة ان تكون  
 مستضيئة بنور الشرع ومؤتمرة لمراسمه حتى تصير هذه القوى  
 متظاهرة غير متعادية كما قال الله تعالى «ونزعنا ما في صدورهم من غل  
 إخوانا على سررٍ متقابلين» وكما لا ينفك اشرار العالم من ان يطابوا في  
 العالم الفساد ويعادوا الا خيار كما قال تعالى «وكذلك جعلنا في كل قرية  
 اكابر مجرميها ليمكروا فيها» وقال سبحانه «وكذلك جعلنا لكل نبي  
 عدواً شياطين الانس والجن» كذلك في نفس الانسان قوى رديئة  
 من الهوى والشهوة والحسد تطلب الفساد وتعادي العقل والفكر. وكما  
 نبه انه يجب للوالى ان يتبع الحق ولا يصنى الى الاشرار ولا يعتمدهم  
 كما قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم» الآية.  
 وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»

وقال «وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم وأحذرهم أن يفتنوك» كذلك يجب للعقل والفكر أن لا يعتمد القوى الذميمة  
 وكما أنه يجب للوالى أن يجاهد أعداء المسلمين كما قال تعالى  
 «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله  
 وعدوكم» كذلك يجب للعقل أن يعادي الهوى فإن الهوى من أعداء الله  
 بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما فى الأرض معبوداً بغض إلى الله  
 من الهوى ثم تلا أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . وكان من استحوذ عليه  
 الشيطان انساها ذكر الله كذلك العقل إذا استحوذ عليه الهوى . وكما  
 أنه يجب للوالى أن يسالم أعدائه إذا لم يقو عليهم كما قال الله تعالى «وان  
 جنحو للأسلم فاجنح لها» وان لا يركن إليهم وان سالمهم كما قال الله تعالى  
 «ولا تركزنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» كذلك يجب للعقل  
 أن يسالم الأشرار من قوى النفس إذا عجز عنها وان لا يركن إليها  
 وكان الوالى إذا أحس بقوة احتاج إلى أن يعدل إلى نقض  
 العهد و اظهار المعادة كما قال الله تعالى «فاذا انسأخ الأشهر الحرم فاقتلوا  
 المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل  
 مرصد» كذلك حق العقل إذا قوى على قوى النفس أن لا يداهنها .

وكما ان شياطين الانس والجن يضعف كيدهم على من تحصن بالايمان  
 واستعاذ بالله وتقوى على من والاه كما قال تعالى « انما سلطانه على الذين  
 يتولونه والذين هم به مشركون » كذلك يضعف كيد الهوى عن  
 العقل اذا تقوى بالله واستعاذ به . فحق العقل ان يستعين من الهوى  
 والشهوه والحرص والامل وان يطهر ذاته منها ومن سائر القوى  
 الرديئة استعاذة ابراهيم صلوات الله عليه حيث قال (رب اجعل هذا  
 البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) فالقوى الرديئة والارادات  
 الرديئة في ذات الانسان جارية مجرى اصنام قل ما ينفك الانسان  
 من عبادتها كما قال الله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم  
 مشركون » وذكروا مثلاً آخر فقالوا كل انسان مع بدنه كوال في  
 بلد قيل له طهر بلدك من النجاسات وادب من يقبل التأديب من أهله  
 ورض من يقبل الرياضة من حيوانه وسباعه . ومن عاث فيه  
 ولا يقبل التأديب والرياضة فاحبسه أو اقله ولكن بالحق كما قال الله  
 تعالى « ولا تقتل النفس التي حرم الله الا بالحق » فان عجزت عن تطهير  
 عرصته من الانجاس وعن تأديب طغائه ورياضة حيواناته وسباعه  
 فلا تعجز عن صيانة نفسك عن التلطيخ بنجاساته وعن الاحتراس من

ان تفرسك سباعه وان يسبيك طغاته حتى اذا لم تكن غالباً لم تكن مغلوباً . فصار الناس في ذلك بين ثلاثة اصناف صنف لم يفعل ما أمر ولم يؤد حق الايالة وتهاون فيما فوض اليه فجرح وأسر فصار عند نفسه مع كونه مجروحاً ما أسوأ من مملوماً مخذولاً وصنف فعل ما أمر فأدى حق الايالة فصار عند ربه مأجوراً مشكوراً . وصنف جد تارة وقصر تارة فجرح وجرح وغلب وغلب فهو كما قال تعالى (خلطوا اعمالهم الصالحا وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم) وقال بعضهم الانسان اذا اعتبر مع قوة الغضب وقوة الشهوة فمثله مثل من بلى في سفره بصحبة ثلاثة اضطر اليهم حتى لا يمكنه ان ينفصل منهم ويقضى سفره من دونهم كما قال الشاعر

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدو له ما من صداقه يد  
 فيا نكد الدنيا متى انت نازح عن الحر حتى لا يقاربه ضد  
 فواحد أمامه هوله رقيب يحفظه وعين تكلاه لكنه ملق<sup>(١)</sup> باهت  
 مموه يلقق الباطل تليقوا ويختمق الزور اختلافاً في خلط الكذب بالصدق  
 والخطأ بالصواب . والثاني عن يمينه بطش زعر<sup>(٢)</sup> يحميه عن اعاديه

(١) الملق المعطى باللسان ما ليس في القلب (٢) الزعر الشرس

لكنه كثير ما يغويه فيهيح هائجه فلا يقمعه النصح ولا يطأ طئه الرفق  
 كأنه نار في حطب أو سيل في صلب أو قرم مغتلم<sup>(١)</sup> أو سبع ناكل<sup>(٢)</sup>  
 فيحتاج ان يسكنه دائما فيحتمى به ومنه فهو معه كما قيل راكب الاسد  
 يهابه الناس وهو في نفسه اهيب . والثالث عن يساره وهو الذي يأتيه  
 بالمطعم والمشرب لكنه ارعن<sup>(٣)</sup> ملق قدر شبق<sup>(٤)</sup> كأنه خنزير أجمع  
 فأرسل في جلة<sup>(٥)</sup> يأتيه أحيانا باطعمة خبيثة فيكرهه على تناولها فهو  
 يحتاج ان يصاب بهم حتى يقطع سفره فيبلغ أرضا مقدسة يشرق فيها  
 النور ويشرب فيها الذئب والنعجة من حوض واحد فيأمن فيها  
 بوأقهم ومن حيلته التي ترجى ان يسلم منهم بها ان يسايط هذا البطش  
 الزعر على هذا الارعن الملق حتى يزبره زبرا<sup>(٦)</sup> وان يظفي غلوهذا  
 الزعر التائه بخلافة هذا الارعن الملق وان لا يجنح الى الباهت  
 المتخرص حتى يأتيه موثقا من الله غليظا ثم يصدقه فيما ينهيه اليه  
 فجعل الملق الباهت كناية عن الوهم والبطش الزعر عن الغضب

(١) القرم البعير والمغتم الشديد الهياج (٢) الثكل فقدان الحبيب أو الولد

(٣) الرعونة الحمق (٤) الشبق الشديد الغلظة والشهوة (٥) بالفتح العجلة

البعرة وتطلق على العذرة (٦) الزبر الزجر والانتهاز



أقوى جسمانه ولا بطول العمر فالنسر والحية أطول منه عمرا ولا  
 بشدة البطش فالأسد والنمر أشد منه بطشا ولا بحسن اللباس  
 فالطاووس والدراج<sup>(١)</sup> أحسن منه لباسا ولا بالقوة على النكاح  
 فالحمار والعصفور أقوى منه نكاحا ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن  
 والجمال أكثر منه ذهبيا وفضة وما أحسن قول الشاعر

لولا العقول لكان أدنى ضعيف أدنى إلى شرف من الإنسان  
 ولمافاضت النفوس ودبرت أيدي الحكمة عو إلى المران

ولا بعنصره الموجود منه كما زعم إبليس حيث قال (خلقتني من  
 نار وخلقته من طين) بل ذلك بما خصه الله تعالى به وهو المعنى الذي  
 ضمنه فيه والأمر الذي رشحه له وقد أشار إليه تعالى بقوله « فاذا  
 سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » وبقوله « خلقت  
 يدي » والملائكة لما نبههم الله تعالى لفضل آدم تنبهوا فأذعنوا وسجدوا  
 له كما أمروا . وإبليس لما نظر إلى ظاهر آدم وبدئه وتعامى عما ذكر  
 الله تعالى ولم يتأمل المعنى الذي ضمنه الله تعالى آدم والعاقبة التي جعلها  
 له أبى واستكبر . وقد اقتدي به الكفار في رد الأنبياء حيث قالوا

(١) الدراج بالضم والتشديد ضرب من الطير ذكرنا كان أو أوشى

« ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » وقالوا « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » وقد نبه الله تعالى علي ان الاعتبار بفضالهم ليس بظاهر ابدانهم وانما ذلك لمعاني في نفوسهم يعني عنها الكفار فقال عز من قائل « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » أي لا يعرفون ما فضلهم به . فمن وفق لفضل ما أعطي ولما شرح له وأعد ثم سمي في مثاله فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الأولوالالباب

### الباب الحادي عشر

في الغرض الذي لا جله أو جده الا انسان ومنازلهم

الغرض منه ان يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر أرضه كما نبه الله تعالى بآيات في مواضع مختلفة حسب ما اقتضت الحكمة ذكره . وذلك قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقوله اني جاعل في الارض خليفة . وقوله . ليستخلفنهم في الارض . وقوله ليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب . وقوله . يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله . وقوله . واستعمركم فيها . وكل ذلك اشارة الى توليتهم أمورا لم يستصالح لها الا الانسان كما نبه الله تعالى عليه بقوله للملائكة



« انى أعلم ما لا تعلمون » وذلك أن الله تعالى ما كان موجودا لما هو  
موجده وفاعلا لما هو فاعله الاعلى أربعة أوجه

الاول افعال تولدها بذاته وهى الابداع ومعنى الابداع  
هو ايجاد الشىء من العدم واليه الاشارة بقوله تعالى « بديع السموات  
والارض »

والثانى افعال استعبد فيها ملائكته وسماه قوم التكوينات  
• وذلك اخراج الشىء من النقص الى الكمال اخراجا غير محسوس  
فاعله وبذلك وصفهم الله تعالى بقوله • فالمدبرات امراء وهم ثلاثة  
اضرب ضرب اليهم القيام بالاجرام السماوية وقد قيل هم اسرافيل  
وميكائيل وجبرائيل ورضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله  
تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم  
وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقوله تعالى « الذين  
يحملون العرش ومن حوله الآية » وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية  
كالملائكة الباعثة للرياح والمزجية للسحاب الموصوفين بقوله تعالى  
والمرسلات عرفا • وقوله عز وجل • والنازعات غرقا • وضرب  
اليهم تدبير الارض كالموصوفين بقوله تعالى « له معقبات من بين يديه

ومن خلقه يحفظونه من أمر الله « وكن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنين انه يبعث ملكا فينفخ فيه الروح وكالحفيظ والرقيب والعتيد وكن وصفهم الله بقوله « أن يكفيكم أن يدركم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين »

والثالث أفعال سخر الله تعالى لها الاركان وموجودات العالم كالأحراق والأذابة للنار والترطيب للماء وفي الجملة ما قد سخر تعالى له شيئا فشيئا من الجمادات والناميات وغير ذلك ونبه عليه بقوله تعالى « وسخر لكم الشمس والقمر » وغير ذلك من الآيات المذكورة والرابع الصناعات والمهن المحسوسة التي استعبد الإنسان فيها واستخلفه وهي الأشياء التي يحتاج صناعة أكثرها إلى ستة أشياء إلى عنصر تعمل منه وإلى مكان وإلى زمان وإلى حركة وإلى أعضاء وإلى آلة وهذا الضرب خص الإنسان به ولم يستصلح له الملائكة وجعل لكل من الملك مقاما معلوما كما نبه عليه تعالى بقوله ( وما منا إلا له مقام معلوم ) وكذلك جعل لكل نوع من الناس مقاما معلوما كما نبه عليه بقوله ( قل كل يعمل على شاكلته ) وقوله ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ولكن

عامة الملائكة لم يعصوا الله فيما أمرهم كما وصفهم تعالى بقوله  
 لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون\* والناس فيما أمروا به  
 وكلفوه بين مطيع وعاص فهم على القول المجمل ثلاثة أضرب ضرب اخلوا  
 بأمره وانسلخوا عما خلقوا لاجله واتبعوا خطوات الشيطان وعبدوا  
 الطاغوت. وضرب وقفوا بغاية جهدهم حيث ما وقفوا كالموصوفين  
 بقوله تعالى «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا» وضرب  
 ترددوا بين الطريقين كما قال الله تعالى «خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا»  
 فمن رجح حسنة على سيئة فمعود بالاحسان اليه. وعلى الانواع  
 الثلاثة دل الله تعالى بقوله (وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة  
 ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون  
 السابقون أو تلك المقربون) وعلى هذا اقسام الله تعالى في آخر السورة  
 فقال (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان  
 من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وأما ان كان من  
 المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) وكثير من الناس  
 يعصون الله ولا ياتمرون له فقيضهم الله تعالى بغير ارادة منهم للسعي في  
 نصرته من حيث لا يشعرون كفرعون في اخذ موسى وتربيته.

وكجمعه السحرة ليكون سبباً في إيمانهم . واخوة يوسف في  
فعلهم ما أفضى به إلى ملك مصر وتمكنه مما تمكن منه ويكون  
مثلهم في ذلك كما قيل

قصدت مساتي فاجتلبت مسرتي

وقد يحسن الانسان من حيث لا يدري

وقال آخر

فعل الجميل ولم يكن من قصده      فقبلته وقرنته بذنوبه

ولرب فعل جاءني من فاعل      فحمدته وذممت من يأتي به

فيكون فعله محموداً وفاعله مذموماً كما قيل

رب أمر اتاك لا تحمداً      فعال وتحمد الافعال

وقد أوجد الله تعالى كل ما في العالم للانسان كما نبهه عليه

بقوله تعالى (جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء

فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم) وقال تعالى (وسخر لكم ما في

السموات وما في الارض الآية) وقال عز وجل (وسخر لكم ما في

الارض) وقول تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب

ومنه شجر فيه تسميون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب

ومن كل الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار) الآية وابع جميع المهتم كما نبه الله تعالى عليه بقوله (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فلانسان ان ينتفع بكل ما في العالم على وجهه اما في غذائه أو في دوائه أو في ملابسه ومشمو ماته ومرت كوباته وزينته والالتذاذ بصورته أو رؤيته والاعتبار به وباستفادة علم منه والاعتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه فيما يستقبح منه فقد نبه الله تعالى على منافع جميع الموجودات واطلع الخلائق عليها ما بالسنة الانبياء عليهم السلام وبالهام الاولياء رضى الله عنهم وكما ان حق الانسان ان يعرف منافع الحيوانات في ذواتها فينتفع بها في المطاعم والملابس والادوية فحقه ان يعرف اخلاقها وافعالها فينتفع بها في اجتناب ما يستحسن واجتناب ما يستقبح منها. فقد احسن من قال تعلمت من كل شيء احسن ما فيه حتى من الكلب حمايته على اهله. ومن الغراب بكوره في حاجته وقد اشار الله تعالى الى ذلك في وصف النحل فقال (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات الآية) فنبه على ان الانسان حقه ان يقتدى بالنحل في مراعاته لوحى الله عز وجل

فكما انها لا تتخطى وحي الله في تحرى المصالح طبعا كذلك يجب على  
الانسان ان لا يتخطى وحي الله اختيارا

### الباب الثاني عشر

في تفاوت الناس واختلافهم

الاشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث انها مصنوعة  
بالحكمة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله (ما ترى في خلق الرحمن من  
تفاوت) ومختلفة من حيث ان كل نوع يختص بفائدة وكل نوع وان  
اختلف فما من شيء أكثر اختلافا من الناس كما قال الله تعالى (وقد  
خلقكم اطوارا) . وقال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . وقال  
سبحانه وتعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر  
درجات وأكبر تفضيلا وقال سبحانه ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة  
ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . وقال تعالى ولو شاء ربك لجمع الناس  
أمة واحدة الآية . وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض  
ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وقال سبحانه  
ولو شاء ربك لجمع الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الامن

رحم ربك . وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله وفي الارض قطع  
متجاورات وجنات من اعناب وزرع الى قوله ان في ذلك لايات  
لقوم يعقلون والحكمة المقتضية لذلك هو ان الانسان لما كان  
غير مكفى بتفرده حتى لو ان انسانا حصل وحده لا تمتنع أو تعذر  
بقاؤه ادنى مدّة فان أول ما يحتاج الانسان اليه ما يواريه وما يغذوه<sup>(١)</sup>  
وليس يجد ما يواريه مصنوعا ولا ما يغذوه مطبوخا كما يكون لكثير من  
الحيوانات بل هو مضطر الي اصلاحهما واصلاح ذلك يحوجه الي  
آلات غير مفروغ منها والا انسان الواحد لا توصل له الي اعداد جميع  
ما يحتاج اليه ليعيش العيشة الجميدة فلم يكن بد للناس من تشارك وتعاون  
فجعل لكل قوم صنعة وهيئة مفارقة للصنعة الاخرى ليقتسموا  
الصناعات بينهم فيتولى كل منهم صنفا من الصناعات فيتعاطاه باهتزاز  
كما قال الله تعالى (فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم  
فرحون) فاقترضت الحكمة ان تختلف جثثهم وقواهم وهمهم فيكون  
كل ميسر لما خلق له . وقال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) فتكون

(١) يقال غدتوت الصبي بالبن من باب غذا أي ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا  
ويقال غذيته مشددا

معايشهم مقتسمة بينهم كما نبه الله عليه بالآيات المتقدمة . وقال تعالى  
 (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم  
 ربك) والاختلاف الحاصل بين . فالناس إذا اعتبر اختلاف  
 اغراضهم وهممهم فهم في صناعاتهم في حكم المسخرين وإن كانوا  
 في الظاهر مختارين وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يتعلق من  
 المصلحة بتباينهم واختلاف طبقاتهم فقال لا يزال الناس بخير ما تباينوا  
 فإذا تساوا هلكوا

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

في سبب تفاوت الناس

أسباب ذلك سبعة أشياء الأول اختلاف الأمراض وتفاوت  
 الطبيعة واختلاف الخلقة كما أشير إليه فيما روي أن الله تعالى لما أراد خلق  
 آدم عليه السلام أمر أن يؤخذ من كل أرض قبضة فجاء بنوا آدم على  
 قدر طبيعتها الأحمر والأبيض والأسود والسهل والحزن والطيب  
 والخبيث وإلى نحو هذا أشار الله تعالى بقوله (والبلد الطيب يخرج  
 نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) وقال تعالى (هو



الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء» \* والثاني اختلاف احوال  
الوالدين في الصلاح والفساد وذلك ان الانسان قد يرث من ابيه  
اثارهما عليه من جميل السيرة والخلق وقيحهما كما يرت مشابهتهما في  
خلقهما ولهذا قال الله تعالى « وكان اباؤهما صالحا » . وعلى نحوه روي  
انه قال في التوراة اني اذا رضيت باركت وان بركتي لتبلغ البطن السابع  
واذا سخطت لعنت وان لعنتي لتبلغ البطن السابع تنبيهها على ان الخير  
والشر الذي يكسبه الانسان ويتخلق به يبقى اثره موروثا الى البطن  
السابع \* والثالث اختلاف ما تتكون منه النطفة التي يكون منها  
الولد ودم الطمث الذي يترابي به الولد فذلك له تأثير بحسب  
طيب ما تكونا منه وخبثه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تخيروا  
لنطفكم . وقال الناكح غارس فلينظر احدكم اين يضع  
غرسه . وقال اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال  
المرأة الحسناء في المنبت السوء \* والرابع اختلاف ما يتفقد به من  
الرضاع ومن طيب المطعم الذي يترابي به ولتأثير الرضاع تقول العرب  
لمن تصفه بالفضل لله دره \* والخامس اختلاف احوالهم في تأديبهم  
وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقيحة فحق الولد

على الوالدین ان یؤخذ بالآداب الشرعیة واطار الحق بیاله و تعویده  
 فعل الخیر كما قال النبی صلی الله علیه وسلم . مروهم بالصلاة اسبع  
 واضربوهم لعشر و یجب ان یصان عن مجالسة الاردياء فانه فی حال  
 صباه كالشمع یتشكل بكل شکل یشکل به وان یحسن فی عینه المدح  
 والكرامة ویقبح عنده الذم والمهانة ویبغض الیه الحرص علی الماء کل  
 والمشارب ویعود الاقتصاد فی تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوی  
 السخف ویؤخذ بقلة النوم فی النهار فهو یشیب ویورث الكسل ویعود  
 التانی فی أفعاله وأقواله ویمنع من مفاخرة الاقران ومن الضرب والشتم  
 والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ویعود صلة الرحم وحسن  
 تأدیة فروض الشرع قال بعض الحكماء من سعادة الانسان ان یتفق  
 له فی صباه من یموده تعاطی الشریعة حتی اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها  
 فوجدها مطابقة لما تعودته قویة بصیرته وتمذت فی تعاطیها عزیمته \*  
 والسادس اختلاف من یتخصص به ویخالطه فیأخذ طریقته فیما  
 یتمذهب به ( عن المرء لا تسأل و ابصر قرینه ) \* والسابع اختلاف  
 اجتهاده فی تزکیة نفسه بالعلم والعمل حین استقلاله بنفسه . والفاضل  
 التام التفضیلة من اجتمعت له هذه الاسباب المستعدة وهو ان یتكون

طيب الطينة معتدل الامزجة جاريا في اصلااب آباء صالحين ذوى  
 أمانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ومن دم طمئط طيب على  
 مقتضى الشرع وصر تضا بذر طيب وما أخذ في صغره من قبل مربيه  
 بالاداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصا بعد  
 بلوغه بمذهب حق ومجهدا نفسه في تعرف الحق مسارعا الى الخير  
 فمن وفق في هذه الأشياء تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات كما  
 قال الله تعالى « لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجحهم » . ويكون  
 جدير ان يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله « وانهم عندنا لمن  
 المصطفين الاخير » . والرذل التام الرذيلة هو من يكون بعكس هذا  
 في الامور التي ذكرناها واعلم ان من طابت أحواله انتفع بكل ما سمعه  
 وشاهده ان خيرا وان شرا ومن خبثت أحواله استضر بكل ما سمعه  
 وشاهده وعلى ذلك دل الله تعالى بقوله ( والبلد الطيب يخرج نباته  
 باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا » . فالخبث من الارض  
 وان طاب بذره وعذب ماؤه لا ينبت الا خبيثا والطيب من الارض  
 وان كدر بذره وملح ماؤه لا ينبت الا طيبا ولذلك قال سبحانه وتعالى  
 في كتابه « تسقي بماء واحد وتفضل بعضها هل بعض في الأكل

وقال في صفة كتابه « قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين  
لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى »

### الباب الرابع عشر

في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية  
اقتضت الحكمة ان تكون الشجرة النبوية صنفا مفردا ونوعا  
واحدا واقعا بين الانسان وبين الملك ومشاركا لكل واحد منهما  
على وجه فانهم كالملائكة في اطلاعهم على ملكوت السماوات  
والارض وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب . ومثله في كونه  
واقعا بين نوعين مثل المرجان فانه حجر يشبه الاشجار بتشذب  
اغصانه وكالنخل فانه شجر يشبه بالحيوان في كونه محتاجا الى  
التلقيح وبطلانه اذا قطع رأسه . وجعل الله النبوة في ولد ابراهيم  
ومن قبله في نوح كما نبه عليه بقوله « ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم  
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب . وقال تعالى (ذرية بعضها من  
بعض) . فهم عليهم السلام وان كانوا من حيث الصورة كالbشر فهم  
من حيث الارواح كالمملك قد ايدوا بقوة روحانية وخصوا بها كما

قال الله تعالى في عيسى عليه السلام « وأيدناه بروح القدس »  
وقال في محمد صلى الله عليه وسلم « نزل به الروح الامين على قلبك  
لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . وتخصيصهم بهذا الروح  
ليمكنهم ان يقبوا من الملائكة لما بينهم من المناسبة بتلك الارواح  
ويلقون الى الناس لما بينهم من المناسبة البشرية لذلك قال سبحانه  
« ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » تنبيها على  
ان ليس في قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا  
الا من البشر . ولما عمي الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعمما للانبياء  
من الفضيلة أنكروا نبوة الانبياء كما قال الله تعالى « قالوا ان انتم الا  
بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباءنا فأتونا بسطان  
مبين » . فالانبياء صلوات الله عليهم بالاضافة الى سائر الناس كالانسان  
بالاضافة الى الحيون والقلب بالاضافة الى سائر الجوارح وايضا  
فمنزلة الانبياء من أممهم بمنزلة الشمس من القمر ومنزلة علمهم من  
علوم أممهم بمنزلة ضوء الشمس من نور القمر كما قال الله تعالى (هو  
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) . فكما ان نور القمر مقتبس  
من ضوء الشمس وهو قاصر عنها كذلك منزلة الامم من انبيائهم

ومنزلة علمهم من علومهم. وكما لا يحصل النور للقمر الا بوساطة الشمس كذلك لا تحصل علوم الناس وتزكية نفوسهم الا بوساطة الانبياء وعلى هذا دل الله تعالى بقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم). فالله تبارك وتعالى يزكي الانبياء بوساطة الملك ويزكي من يشاء من الناس بوساطة الانبياء كالطابع الذي جعل له كتابة ثم بوساطته يثبت في الشموع المختلفة شكل تلك الكتابة

### ❦ الباب الخامس عشر ❦

في هداية الاشياء الى مصالحها

كل ما اوجده الله سبحانه فانه هداية لما فيه صلاحته كما نبه عليه بقوله تعالى (اعطي كل شيء خلقه ثم هدي). لكن هدايته للجملات بالتسخير فقط كالاشياء الارضية التي اذا تركت تنحو نحو السفلى والكنار التي تنحو الى العلو. وهدايته للحيوانات الى افعال تتعاطاها بالتسخير والالهام كالنحل فيما يتعاطى من السياسة واتخاذ البيوت المسدسة ومن عمل العسل. وكالسرفة<sup>(١)</sup> فيما

(١) السرفة بالضم دويبة تتخذ بيتا من دقاق العيدان فتدخله وتموت

تبنيه من الابنية . وكالعنكبوت في نسجه . وهدايته للملائكة  
 بالتسخير والالهام وبيداهة العقل وما جعل لها من العلوم الضرورية  
 فاما الانسان فهدايته له تعالى بكل ذلك وبالفكر . وذلك انه بالتسخير  
 بنفسه وكثير من حركاته وبالالهام هدايته طفلا للارتضاع بالثدي  
 وطلب الغذاء والتشكى من الالام بالبكاء وبيداهة العقل يعرف  
 مبادي العلوم وبالفكر يتوصل الى استنباط المجهول بالمعلوم فهو ان  
 خلق عاريا من المعارف التي جعلها الله تعالى للحيوانات بالالهام ومن  
 الملابس والاسلحة التي جعلها لها بالتسخير فقد جعل للانسان قوة  
 التعلم بالعقل والفكر وتحصيل الملابس والاسلحة والآلات المختلفة  
 ووكله الى نفسه من الاستفادة وممكنه من ذلك وذلك فضيلة لا تقيصة  
 ورفعة لا ضعة فانه باعطائه العلم والعقل واليد العاملة قد أعطاه كل  
 شيء ولو أعطى كل شيء حسب ما أعطى البهائم شيئا فشيئا لكان  
 قد منع كل شيء لان بعضه كان يمنع عن استعمال البعض والي تمكن  
 الانسان من تحصيل ما يريد أشار الله تعالى بقوله «والله أخرجكم من

ومنه المثل (اصنع من سرفة) وسرفت السرفة الشجرة اكلت ورقها ومنه السرف  
 الذي هو الحد في النفقة

بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة  
 لعلكم تشكرون « وقد ظن قوم ان الله تعالى خلق الناس من بين  
 الحيوان خلقا منقوصا اذ لم يعطوا اسلحا يدفعون به عن انفسهم كما  
 أعطي كثيرا من الحيوان أسلحة الانياب والمخالب اذ لم يكفهم  
 لباسهم كما كفي الحيوان بل قد أحوجهم الى تطهير البدن وقد أغناها  
 عنه قالوا ولذلك قال الله تعالى « وخلق الانسان ضعيفا » وليس  
 كذلك والصحيح عند المخلصين ان الانسان وان كان ضعيفا  
 بالاضافة الى الباري تعالى والي الملائكة الاعلى فليس يقصر عن الحيوان  
 جميعه من جهة ما ظنوه فان الله تعالى بحكمته البارعة أعطى كل واحد  
 من الحيوان سلاحا بقدر ما علم من مصلحته فبعض جعل له آلة  
 الهرب كالعدو وبعض جعل له رمحا يدفع به كالقرون للبقر والغنم  
 وبعض دبوسا كالخافر للفرس والحمار وبعض نشابا كالشوك للقنفذ  
 وجعل لكل لباسا بحسب كفايته والهم كلا منها صنعة يتعاطاها  
 بطبعه وجعل للانسان بدل ذلك الفكر والتمييز الذي يمكنه ان يتخذ  
 به كل آلة وكل ملبس على قدر حاجته اليه ويتناوله متى شاء ويضعه متى  
 أحب ويستبدل به كيفما أراد والحيوان ليس لها ان تضع اسلحتها



متى ما استغنت عنها ولا ان تستبدل بها فهذا دليل على تمام الانسان  
ونقصان الحيوانات والانسان بالفكر والروية يقهر  
الحيوانات التي هي اقوي منه لانه يهي بفكرته لكل منها آلة  
يصطادها بها فاذا العقل الذي أعطاه ليحصل به كل ما يحتاج اليه  
أعلى وأشرف فانه مرآة اذا جلاها أطلع بها على ملكوت  
السماوات والارض

### ﴿ الباب السادس عشر ﴾

في سعادة الانسان ونزوعه اليها

قال بعض الحكماء جعل الله لكل شيء كما لا ينساق اليه طبعاً  
وقد هداه الى التخصيص به تسخييراً كما نبه الله عليه بقوله تعالى « اعطى  
كل شيء خلقه ثم هدى » . وللانسان سعادات ايحت له وهي النعم  
المذكورة في قوله تعالى « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وجميع  
النعم والسعادات على القول المجمل ضربان ضرب دائم لا يبيد ولا  
يحول وهو النعم الآخروية وضرب يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية  
والنعم الدنيوية متى لم توصلنا الى تلك السعادات فهي كسراب  
بقية وغرور وفتنة وعذاب كما وصفه الله تعالى في كتابه (انما مثل

الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء .. الآية ) . وما أصدق  
 مقال الشاعر

انما الدنيا كرويا أفرحت من رآها ساعة ثم انقضت

﴿ فصل ﴾

ما أحد الا وهو فازع الي سعادة يطلبها بجهد ولكن كثيرا  
 ما يخطئ فيظن ما ليس بسعادة في ذاته انه سعادة فيغتر بها فيكون  
 كالموصوف بقول الله تعالى ( والذين كفروا أعمالهم كسراب  
 بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ) . وبقوله تعالى  
 ( أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما  
 كسبوا على شيء ) وقال الشاعر

كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعة  
 والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار العناء على الدعة

﴿ فصل ﴾

النعمة الدنيوية انما تكون نعمة وسعادة انما تنوولت على ما يجب  
 وكما يجب ويجري بها على الوجه الذي لاجله خلق وذلك ان الله  
 جعل الدنيا عارية ليتناول منها قدر ما يتوصل به الى النعم الدائمة

والسعادة الحقيقية وشرع لنا في كل منها حكما بين فيه كيف يجب ان يتناول ويتصرف فيها لكن صار الناس في تناولها فريقين فريق يتناولوه على الوجه الذي جعله الله لهم فانتفعوا به فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) . وقوله عز وجل (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا النبوا منهم في الدنيا حسنة) . فهو لاء حيوا بها حياة طيبة كما قال تعالى (فلنجيننه حياة طيبة) \* وفريق يتناولوها على الوجه الذي جعلها الله لهم فركنوا اليها فصار ذلك لهم نقمة وشقاوة فتعذبوا بها عاجلا وأجلا وهم الموصوفون بقوله تعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون)

﴿ فصل ﴾

والسعادات الاخرية ليس لنا تصور كنهها مادمننا في دار الدنيا ولذلك قال تعالى ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة

(عين) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى اعددت لعبادي  
 الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر\*  
 والسبب في قصورنا عن تصور هاشيثان احدهما ان الانسان لا يمكن  
 ان يعرف حقيقة الشيء وتصوره حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه  
 ووصف له يجري مجرى صبي توصف له لذة الجماع فلا يمكن أن يتصور  
 حقيقة حتى يبلغ فيياشره بنفسه وكالا كمة توصف له المرأة وحالنا في  
 اللذة الاخروية هكذا فاننا لا نتصورها على الحقيقة الا اذا طالعناها فاذا  
 طالعناها شغلنا الفرح والتلذذ بها عن كل ما دونها كما قال تعالى «أصحاب  
 الجنة اليوم في شغل فاكهون» والثاني ان لكل قوة من قوى النفس  
 وجزء من اجزاء البدن لذة تختص بها الا يشاركها غيرها بلذة العين  
 في النظر الى ما تستحسنه ولذة السمع في الاستماع الى ما يستطيبه ولذة  
 اللمس في لمس ما يستلذده ولذة الوهم في تصور ما يؤمله ولذة الخيال في  
 تخيل ما يستحسن تصوره ولذة الفكر في امر مجهول عنده يتعرفه وكل  
 واحد من هذه القوي والاجزاء اذا عرض لها آفة تعوقها عن شهوتها  
 وعن ادراك لذتها يكون كالمريض الذي لا يشتهي الماء وكان به ظمأ  
 واذا تناوله لم يجد له لذة كما قال الشاعر

ومن يك ذاقهم مر مريض يجد مرَّاً به الماء الزلالا  
 واذا كان كذلك فاللذات الاخروية هي لذات لا تدرك  
 الا بالعقل المحض وعقول أكثر من في هذه الدار موهمة معوقة عن  
 ادراك حقائق اللذات الاخروية فلا تشعر بها كالخدر<sup>(١)</sup> لآفة  
 عرضت له فلا يحس بالسبب المؤلم . وكالمريض الذي لا يحس بالجوع  
 وان كان جوعه يؤذيه ولا يشتهي الطعام ان كان فقد الطعام يرضيه بل  
 انما يحس بالجوع اذا زال السبب المؤلم . وايضا فعقول أكثر ناقصة  
 وجارية مجرى عقول الصبيان الذين لم يبلغوا مبلغ رجال قد عرفوا  
 حقائق الاشياء فكما ان الصبيان ماداموا اصغارا لا يحسون باللذات  
 والآلام التي تعرض للرجال فيتعملون بالباطيل والاضاليل كذلك  
 من كان في عقله صبيا لم يطلع على الحقائق وبالا اعتبار بهم قال الله تعالى  
 «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب» وقال تعالى «فلا تغرنكم الحياة  
 الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» ولما أراد الله تعالى ان يقرب معرفة  
 تلك اللذات من افهام الكافة شبهها ومثلها لهم بانواع ما تدركها حواسهم  
 فقال تعالى «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار

(١) خدر العضو استرخى فلا يطيق الحركة

من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل  
مصفي « ليبين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم وقال (مثل  
الجنة التي وعد المتقون) ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على ان ذلك تصوير  
وتمثيل فالانسان وان اجتهد ما اجتهد ان يطالع على تلك السعادة فلا  
سبيل له اليها الا على احد وجهين احدهما ان يفارق هذا الهيكل ويخلف  
وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك كما قال الله تعالى (يوم يأتي بعض آيات  
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها  
خيرا قل انتظروا انا منتظرون) والثاني ان يزيل قبل مفارقة الهيكل  
الامراض النفسانية المشار اليها بقوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم  
الله مرضا) وارجاسها المشار اليها بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فيطلع من وراء ستر رقيق  
على بعض ما عدله كما حكى عن حارثة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم  
عزفت <sup>(١)</sup> نفسي من الدنيا فكأنني انظر الى عرش ربي بارزا واطلع على  
اهل الجنة يتزاورون وعلى اهل النار يتعلوون فقال له النبي صلى الله عليه  
وسلم عزفت فالزم. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام لو كشف الغطاء

(١) عزفت عن الشيء انصرف عنه

مازددت یقینا

○ الباب السابع عشر ○

في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها  
 الانسان مسافر ومبدأ سفره من حيث ما اشار اليه تعالى بقوله  
 (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع  
 الى حين) وحيث قال في صفة نبيه (واذا أخذ ربك من بنى آدم من  
 ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم اأست بر بكم قالوا بلى)  
 ومنتهى سفره دار السلام ودار القرار . وله في سفره أربعة منازل  
 ظهر أليه وبطن أمه وظهر الارض والموقف . وله حالتان حالة هو فيها  
 مستودع وهو مادام في هذه المنازل وحالة هو فيها مستقر وهو اذا  
 حصل في دار القرار والى ذلك اشار الله تعالى بقوله (وهو الذي  
 أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) والمنزل الذي فيه يحتاج  
 الى تزود مادام على ظهر الارض فالانسان في كدح وكبد<sup>(١)</sup> ما لم ينته الى  
 دار القرار كما قال الله تعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا  
 فملاقيه) وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) وهو مجبول على طلب

(١) الكدح العمل والكبد الشدة وكابد الامر قاسى شدته

الراحة لكن الناس في طلبها علي ضربين ضرب عموامن الآخرة  
 وقالوا (ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا) أو فعلوا فعل من قال ذلك وان  
 لم يقولوا قولهم فطالبوا الراحة من حيث لا راحة وهم كالموصوفين بقوله  
 عز وجل (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً  
 حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) وقوله (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من  
 السماء فاختلف به نبات الارض .) الآية فانهم طالبوا من الدنيا  
 ما ليس في طبيعتها ولا موجوداً فيها ولها وما احسن قول الشاعر  
 اريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن  
 وقال آخر

مضى قبلنا قوم رجوا ان يقوموا بلا تعب عيشا فلم يتقوم  
 وضرب عرفوا الدنيا والآخرة وعلموا ان الدنيا كما قال الله تعالى  
 (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وان الدار الآخرة لهي  
 الحيوان) وعلموا ان فيها يستقر الانسان ويطمئن كما قال الله تعالى  
 (يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وانه يحتاج  
 الى ان يسافر اليها كما قال عليه السلام سافر واتغنموا فاحتملوا المشقة  
 علما ان كل تعب يؤديهم الى راحة فهو راحة فسعدوا كما قال الله تعالى



( فأما الذين سعدوا ففي الجنة ) .

وقد جعل للانسان حريتين مفيدتين لزادين أحدهما روحاني  
 كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الحميدة وثمرته الحياة الابدية  
 والغنى الدائم والاستكثار منه محمود ولا يكاد يطالبه الا من قد عرفه  
 وعرف منفعته . والثاني جسماني كالمال والاثاث وفي الجملة ما قد نبه  
 الله تعالى عليه بقوله ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين  
 والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام  
 والحرف ) . وثمرته ان تحصل به الحياة الدنيوية الفانية ويسترجع  
 من الانسان اذا فارق دنياه ولا ينتفع منه بشيء الا بقدر ما استعان  
 به في الوصول الى الزاد الاخروي كما نبه الله تعالى عليه بقوله  
 ( وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ) . ولا يولع بالركون اليها  
 الا من جهل حقائقها ومنافعها والاستكثار منه ليس بمذموم ما لم  
 يكن مشبها لصاحبه عن مقصده وكان متناولا على الوجه الذي يجب  
 وكما يجب ومجموعا الى الوجه الذي ينتفع به في مقصده لكن  
 تناوله على هذا الوجه والاستكثار منه لا يتأتى الا اذا كان السلطان

عادلا والامور جارية على اذلالها<sup>(١)</sup> فيحفظ الناس معاملاتهم على مقتضى الشرع ثم يكون صاحبه اذا تناوله كما قال تعالى (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) فاذا لم يكن الامر كما ذكرنا من الاستقامة فليس الا الاقتصاد والاقتصار والتبليغ بما يمكن حتى ينقضى السفر. والموفق في الدنيا اذا رأي نفسه قاصرة عن الجمع بين الامرين اهتم بما يبقى واقل العناية بما يفنى واثرا لآخرة على الدنيا فلا يلتفت الى الدنيا الا بقدر ما يتبلغ به الى الآخرة مراعيها فيه حكم الشرع ومحافظا لقول الله عز وجل (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا والدنيا انما مثلها فيها مثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقام في ظلها ساعة ثم راح وتركها وقد نبه الله تعالى على حال من يريد ان يتجرد ويتخلص من حباله<sup>(٢)</sup> الدنيا على سبيل المثل بقوله (ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني

(١) يقال امور الله جارية على اذلالها اي مجازيها جمع ذل بالكسر

(٢) الحباله ككتابة المصيدة

الا من اغترف غرفة بيده) . ومحبة الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس كل خطيئة . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من سكن قلبه حب الدنيا بلى بثلاثة شغل لا يبلغ مداه وفقير لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه . وقال صلى الله عليه وسلم من كانت الدنيا اكبر همه فرق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت به من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة اكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وهذا معنى قوله عز وجل ( من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثه منها وما له في الآخرة من نصيب ) ومعرفة ذلك والوصول اليه لا يمكن الا ان يستضيء العقل بنور الشرع متعمدا على من له الخلق والأمر

### الباب الثامن عشر

في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر  
اعلم ان العقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يغني اس مالم يكن بناء  
ولن يثبت بناء مالم يكن اس . وأيضا فالعقل كالبصر والشرع

كالشعاع وثن يعني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني  
الشعاع ما لم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب  
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من  
الظلمات الى النور باذنه) وأيضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت  
الذي يئده فإن لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم  
يضئ الزيت قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره  
كشماسة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري  
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها  
يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) .  
والله هو الهادي . وأيضا فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من  
داخل وهما متعاضان بل متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج  
سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن  
نحو قوله (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) . ولكون العقل شرعا من  
داخل قال في وصف العقل (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل  
لخلق الله ذلك الدين القيم) فسمى العقل ديننا . ولكونهما متحدان  
قال (نور على نور) أي نور الشرع ونور العقل ثم قال (يهدي

الله لنوره من يشاء) . فجعلهما نورا واحدا فالشرع اذا فقد العقل عجز  
 عن اكثر الامور عجز الدين عند فقد الشعاع  
 واعلم ان العقل بنفسه قليل الفناء<sup>(١)</sup> لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات  
 الاشياء دون جزئياتها نحو ان يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول  
 الصدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة ونحو  
 ذلك من غير ان يعرف ذلك في شيء شيء والشرع يعرف كليات  
 الاشياء ويبين ما الذي يجب ان يتعقد في شيء شيء وما الذي هو  
 معدلة في شيء شيء ولا يعرفنا العقل مثلا ان لحم الخنزير والدم والخمر  
 محرم وانه يجب ان يتحامي من تناول الطعام في وقت معلوم وان  
 لا تنكح ذوات المحارم وان لا تجامع المرأة في حال الحيض فان اشباه  
 ذلك لا سبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقاد الصحيحة  
 والافعال المستقيمة والدادل على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل  
 عنه فقد ضل سواء السبيل . ولا جل ان لا سبيل للعقل الى معرفة ذلك  
 قال الله تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) . وقد قال الله  
 تعالى ( ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت

(١) الفناء بالفتح والمد النفع

الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي) . والى العقل  
والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى ( ولولا فضل الله عليكم  
ورحمته لا تبعم الشيطان الا قليلا ) . وعنى بالقليل المصطفين الا خيار

— ❦ الباب التاسع عشر ❦ —

في فضيلة الشرع

اعلم ان احكام الشرع من وجه دواء ومعجون مفروغ منه  
تولى ايجاده من له الخلق والأمر . وهو دواء مفيد للحياة الابدية  
والسلامة الدائمة كما قال الله تعالى ( أو من كان ميتا فأحييناه ) وقال  
تعالى ( وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري  
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من  
عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم ) . فجعل ذلك روحا لا فائدة  
الحياة الابدية . وقال الله تعالى ( قل هو للذين امنوا هدى وشفاء )  
وقوله ( شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ) \* ومن وجه  
هو ماء مطهر مزيل الانجاس والارجاس النفسية كما قال الله تعالى  
في وصفه للقرآن ( انزل من السماء ماء فسألت اودية بقدرها  
فاحتمل السيل زبدا راييا ) . وكذلك قال الله تعالى ( انما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)\* ومن وجه  
هو نور وسراج مزيل للظلمة والحيرة والجهالة قال الله تعالى (قد  
جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه  
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى  
صراط مستقيم). وقوله تعالى (الله نور السموات والارض)\* ومن  
وجه وسيلة الى الله عز وجل كما قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله  
وابتغوا اليه الوسيلة). وقال فيمن مدحهم (يبتغون الى ربهم الوسيلة  
أيهم أقرب ويرجون رحمته) وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا)  
وقوله تعالى (فليرتقوا في الاسباب)\* ومن وجه هو الطريق المستقيم  
كما قال الله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما)

## ﴿ فصل ﴾

ذكر بعض الحكماء ان الارض المقدسة المذكورة في قوله  
تعال (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على  
ادباركم) هي في الدنيا الشريعة وفي الآخرة الجنة لانها هي التي اذا  
دخلها الانسان لا يرتد على دبره ونال السعادة الكبرى بلا مشنوية<sup>(١)</sup>

(١) يقال هبة ليس فيها مشنوية ولا ثنياى استثناء

فأما بيت المقدس في الارض فان من يدخله فبنفس دخوله اياه  
لا يستحق مثوبة بل المثوبة تستحق بامور آخر يكون دخوله المكان  
الذي هو بيت المقدس آخرها بعد ان يكون دخوله على وجه مخصوص  
وفي حال مخصوص قال وعلى هذا الحرم المذكور في قوله تعالى ( أولم  
يروا اننا جعلنا حرم ما آمنوا ويتخطف الناس من حولهم أفالباطل يومنون  
وبنعمة الله يكفرون ) . وسأل جعفر بن محمد الصادق بعض الفقهاء  
عن هذه الآية فقال اريد بها مكة فقال واعجبا واي أرض أكثر تخظنا  
لمن حولها من مكة . ويدل على ما قال قول الله تعالى بعد ذلك ( وما أوتيتم  
من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى أفلا تعقلون )  
وكذلك قوله تعالى ( واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث  
شئتم وقولوا احطوا وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وسنزيد  
المحسنين ) . والسفر الموعود بالغنيمة بقول النبي صلى الله عليه  
وسلم سافروا تنعموا هو السفر الى هذه الدار وكذلك القرار المدعو اليه  
من جهة المثل بقوله ( ففروا الى الله ) وكذا الحج الاكبر الذي دعا الناس  
اليه بقوله ( وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ) وقوله  
تعالى ( ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ) وكذا الجهاد



الاعظم في قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) والهجرة الكبرى  
في قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

الباب العشرون

في ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الله فليس بانسان  
لما كان الانسان انما يصير انسانا بالعقل ولو توهمنا العقل  
مرتفعاعنه فخرج عن كونه انسانا ولم يكن اذا تخطينا الشبح المائل  
الابهيمة مهملة أو صورة ممثلة والعقل لن يكمل بل لا يكون عقلا  
الابعد اهتدائه بالشرع كما تقدم ولذلك نفي العقل عن الكفار لما  
تعروا عن الهداية بالشرع في غير موضع من كتابه والاهتداء  
بالشرع هو عبادة الله تعالى فالانسان اذا في الحقيقة هو الذي يعبد  
الله ولذلك خلق كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون  
ما يريد منهم من رزق وما يريدان يطعمون) وكما قال تعالى (وما أمرنا  
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) فكل ما وجد لفعل فمتى لم يوجد منه  
ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ولذلك كثيرا ما يسلب عن  
الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصا كقولهم للفرس الرديء ليس هذا  
بفرس وللانسان ليس هذا بانسان . ويقال فلان لا عين له ولا اذن

له اذا بطل فعل عينه وأذنه وان كان شبحهما باقيا وعلى هذا قال تعالى  
(صمُّ بكمُّ عميُّ) فيمن لم ينتفع بهذه الاعضاء فالانسان يحصل  
له من الانسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لاجلها خلق فمن  
قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن رفضها فقد انسلخ  
من الانسانية فصار حيوانا أو دون الحيوان كما قال الله تعالى في وصف  
الكفار (إن هم الا كالانعام بل هم اضلُّ سبيلا) وقال (ان شرَّ  
الدواب عند الله الصمُّ البكمُّ الذين لا يعقلون) فلم يرض ان يجعلهم  
انعاما ودوابَّ حتى جعلهم اضلُّ منها وجعلهم من اشرارها واخرج  
كلامهم عن جملة البيان فقال تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت  
الامكأ وتصدية) تنبيه على انهم كالطيور التي تمكو وتصدى<sup>(١)</sup> ونبه  
تعالى بنكتة لطيفة على ان الانسان لا يكون انسانا الا بالدين ولا اذا  
بيان الا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية فقال تعالى (الرحمن علم  
القرآن خلق الانسان علمه البيان) فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان  
ثم بتعليم البيان ولم يدخل الوافيا بينهما وكان الوجه على متعارف الناس  
ان يقول خلق الانسان وعلمه البيان وعلمه القرآن فان ايجاد الانسان

(١) مكالطائر صفر وصدى صفق

بحسب نظرنا مقدم على تعليم البيان وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن  
 لكن لما لم يعد الانسان انسانا ما لم يتخصص بالقرآن ابتداء بالقرآن  
 ثم قال خلق الانسان تنبيهها على ان بتعليم القرآن جعله انسانا على الحقيقة  
 ثم قال علمه البيان تنبيهها على ان البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل  
 بعد معرفة القرآن فنبه به هذا الترتيب المخصوص وترك حرف  
 العطف منه وجعل كل جملة بدلا مما قبلها لا عطفها على ان الانسان  
 ما لم يكن عارفا برسوم العبادة ومتخصصا بها لا يكون انسانا وان  
 كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا . فان قيل فعلى  
 ما ذكرته لا يصح ان يقال للكافر انسان وقد سماهم الله بذلك في  
 عامة القرآن . قيل اننا لم نقل اننا نسمى الكافر انسانا على تعارف الكافة  
 بل قلنا قضية العقل والشرع تقتضى ان لا يسمى به الا مجازا ما لم يوجد  
 منه العقل المختص به ثم ان سمي به على سبيل تعارف العامة فليس  
 ذلك بمنكر فكثير من الاسماء يستعمل على وجه فيبين الشرع ان  
 ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم الغني فانهم استعملوه في  
 كثرة المال وبين الشرع ان الغني ليس هو كثرة المال قال عليه  
 الصلاة والسلام ليس الغني بكثرة المال وانما الغني غني النفس .

فیشیر الی ان الغنی لیس هو کثرة المال وقال تعالی (ومن  
 کان غنیا فلیستتغف) (١) أى کثیر الاعراض (١) فاستعمله  
 علی ما هو متعارف . وجملة الأمر ان اسم الشیء اذا طلقه الحکیم  
 علی سبیل المدح یتناول الاشراف منه کقوله تعالی (وانه لذكر  
 لك ولقومك . وقوله تعالی (ورفعنا لك ذکرك) وان کان  
 الذکر قد یقال للمحمود والمذموم . وعلى هذا یمدح کل شیء  
 بلفظ نوعه فیقال فلان هو انسان وهذا السیف سیف ولهذا قیل  
 الانسان المطلق هونبى کل زمان وقد قال علیه الصلاة والسلام  
 الناس اثنان عالم ومتعلم وما عداهما همج (٢) وقال بعض العلماء قول  
 من قال الانسان هو الحی الناطق المیت صحیح ولیس معناه  
 ما توهمه کثیر من الناس من انه من الحیة الحیوانیة والموت  
 الحیوانی والنطق الذی هو فی الانسان بالقوة وانما ارید بالحی من  
 کان له الحیة المذکورة فی قوله تعالی (لینذر من کان حیا)

(١) العراض بوزن الفلاس المتاع وجمعه عروض ولا یجتمع اعراض الاعلی لغة من  
 فتح الوسط (٢) یقال للارعاع الحقی انما هم همج واصله الذباب الصغیر یسقط علی  
 وجه الغنم وعیرها



بالجوارح كالقيام والقعود والر كوب والمشى والنظر وكل ما يحتاج  
 الى استعمال الاعضاء فيه . والثاني حفظ عوارض النفس كالشهوة  
 والخوف واللذة والفرح والغضب والشوق والرحمة والغيرة وما شبه  
 ذلك . والثالث ما يختص بالتمييز والعلم . وكل واحد من هذه  
 الثلاثة امان يحمده عليه الانسان أو يذم . فحمده ان تكون افعاله  
 جميلة وعوارض نفسه مستقيمة وقلبه ذكيا حتى يعتقد الحق ويقوى  
 على معرفته اذا ورد عليه . والمذمة تلحقه ان كانت على اضداد ذلك  
 والعبادات بهذه الاشياء الثلاثة تختص . والله تعالى في كل فعل يتحراه  
 الانسان عبادة سواء كان الفعل واجبا أو ندبا أو مباحا وتكون تلك  
 العبادة مبنية اما بيديه العقل أو بالكتاب أو بلسان النبي أو باجماع  
 الامة أو بالاعتبارات والاقيسة المبنية على هذه الاصول بل ما من  
 حكم الاو كتاب الله ينطوى عليه كما قال الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب  
 من شيء) عرفه من عرفه وجهله من جهله . وما من مباح الا واذا  
 تعاطاه الانسان على ما يقتضيه حكم الله تعالى كان كالانسان في تعاطيه  
 عابدا لله مستحقا لثوابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد أنك  
 لتؤجرني كل شيء حتى اللقمة ترضعها في امرأتك . ومخاطبته لسعد

بذلك لما عرف منه انه يراعي في افعاله حكم الله تعالى . وعلى هذا الوجه  
قال ما من مسلم غرس غرسا لم يأكل منه شيئا الا كان له صدقة ومراعاة  
امر الله في جميع الامور دقيقة او جليلها مستجب للكافة وواجب على  
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كل من تقرب منزلته من منزلته لقول الله  
تعالى (فاستقم كما امرت ومن تاب معك)

### الباب الثاني والعشرون

في تحقيق العبادة

العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية  
يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة . فقولنا فعل اختياري  
يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو  
على سبيل الاختيار فان الترك ضربان ضرب على سبيل الاختيار وهو  
فعل . وضرب هو العدم المطلق لا اختيار معه بل هو عدم الاختيار  
وليس بفعل . وبقولنا مناف للشهوات البدنية يخرج منه ما ليس بطاعة  
واما الافعال المباحة كالاكل والشرب ومجامعة المرأة فليس بعبادة  
من حيث انها شهوة ولكنها قد تكون عبادة اذا تحرى بها حكم  
الشريعة وانما قيل تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى لانها ان

خلت عن نية أو صدرت عن نية لم يقصد بها التقرب إلى الله تعالى بل أريد بها مرآة لم تكن أيضا عبادة وإنما قيل طاعة للشريعة لأن من انشأ من نفسه فعلا ليس بسائغ في الشريعة لم يكن عبادة وإن قصد به التقرب إلى الله تعالى فالعبادة إذا فعل يجمع هذه الأوصاف كلها

﴿الباب الثالث والعشرون﴾

في أنواع العبادة من العلم والعمل

العبادة ضربان علم وعمل وحقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء وكلاهما لا يعني أس ما لم يكن بناء ولا يثبت بناء ما لم يكن أس كذلك لا يعني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ولذلك قال الله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والعلم أشرفهما لكن لا يعني بغير عمل ولشرفه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أيما الأعمال أفضل يا رسول الله فقال العلم فاعاد عليه السؤال فقال العلم فقال الرجل في الثالثة أسألك عن العمل لا عن العلم فقال عليه السلام عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل. وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم \* فالعلم ضربان نظري وعملي فالنظري ما إذا علم كفى ولم يحتاج



فيه بعده الى عمل كعرفة وحدانية الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه  
ورسله واليوم الآخر ومعرفة السموات وما اشبه ذلك . والعمل  
ماذا علم لم يفن حتى يعمل به كعرفة الصلاة والزكاة والجهاد والصوم  
والحج وبر الوالدين . والاعمال ثلاثة اضرب منها ما يختص بالقلب  
ومنها ما يختص بالبدن ومنها ما يشارك فيه البدن القلب . والعلم  
ايضا اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه عمل واذا نظر اليه وقد  
! اكتسب وتصور في القلب خرج في تلك الحال عن ان يكون عملا  
ومن وجه آخر ضربان واجب وندب فالواجب يقال له العدل والندب  
يقال له الاحسان وهما المذكوران في قول الله تعالى (ان الله يأمر  
بالعدل والاحسان) فالفرض والعدل تحرى الانسان لما اذا عمله  
اثيب واذا تركه عوقب والندب والاحسان تحرى الانسان لما اذا عمله  
اثيب واذا تركه لم يعاقب والانصاف من العدل والتفضل من البر  
والاحسان فالانصاف هو مقابلة الخير من الخير والشر من الشر بما  
يوازيه والتفضل والبر مقابلة الخير باكثر منه والشر باقل منه .  
فالاحسان والتفضل احتياطي في العدالة والانصاف ليؤمن به من وقوع

خلل فيه وذلك انك اذا زدت في اعطاء ما عليك ونقصت في اخذ مالك  
فقد احتطت واخذت بالحزم كدفع زيادة زكاة الى الفقير وترك  
ما أحل لك ان تتناول من مال اليتيم . فالعدالة ان كانت جميلة فالتفضل  
احسن منها ولذلك قال تعالى فيمن استوفى حقه فتحرى العدالة (ولمن  
اتصبر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل) وقال سبحانه بعده (وأن  
تعفوا اقرب للتقوى) وقال عز وجل (ولا تنسوا الفضل بينكم) اشارة  
الى ان الاحسان حسن والتفضل احسن وقال عز وجل (للذين  
احسنوا الحسنى وزيادة) فالانسان انما يكون محسنا متفضلا بعد ان  
يكون عادلا منصفاً . فاما من ترك ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه  
فانه لا يقال له متفضل ولا يجوز تعاطي التفضل الا لمن كان مستوفيا  
وموفيا لنفسه فاما الحاكم المستوفى والموفى لغيره فليس له الاتحري  
العدالة والنصفة<sup>(١)</sup>

### ﴿فصل﴾

العلوم من حيث الكيفية ضربان تصور وتصديق فالتصور هو  
ان يعرف الانسان معنى الشيء صح عنده ذلك بدلالة أولم

(١) النصفة محركة الانصاف

يصح كمن عرف الصلاة وشرائطها وان لم تثبت صحتها عنده  
بدلالة والتصديق هو ان يتصور الشيء ويثبت عنده بدلالة  
تقتضى صحته

والتصديق على ثلاثة اضرب اما بغلبة الظن وهو ان يكون  
عليه دلالة وقد يعترضها شبه توهنها أو تبطلها قال الله تعالى  
( اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون )  
واما بعلم اليقين وهو ان يصير بحيث يعلم ويعلم انه يعلم ولا تعترضه  
شبه توهنه كالعلم مثلا بان ثلاثة وثلاثة ستة وانه لا يصح ان  
يكون أكثر من ذلك أو اقل قال الله تعالى ( انما المؤمنون  
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ) واما بعين اليقين وهو  
ان يرى بعقله الشيء ويعانيه ببصيرته في حال اليقظة والنوم وقد نبه  
الله تعالى على هذه الوجوه بقوله ( كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف  
تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين  
اليقين ) \* فاما التصورات المجردة فالعامة الذين قال الله تعالى فيهم  
( ولو ردوه الى الرسول والي اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه )  
واما غلبة الظن فللعامة الذين مدحهم الله بقوله ( الذين يظنون أنهم

ملاقوا ربهم) \* وأما علم اليقين فللخاصة \* وأما عين اليقين ففي الدنيا  
 للأنبياء ولبعض الصديقين . والي نحوه أشار النبي صلى الله عليه وسلم  
 بقوله تنام عيني ولا ينام قلبي . وبقوله اني ارى من خلفي كما ارى من  
 قدامي قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت  
 يقينا وقال بعض الحكماء علم اليقين يحصل للعقل بالفكر والذكر فان  
 العقل بفكره أي ببحثه يدرك المعارف ويذكره يستحضرها اذا نسيها  
 وغفل واشتغل عنها وبذهنه ينظر اليها دائما كما ننظر نحن الى محسوس  
 غير غائب عن ابصارنا بلا حاجة الى بحث وطلب وتفكر وتذكر  
 وكذلك قيل الانسان يعقل فينظر الى الحق بالفكر والملائكة دائما  
 ينظرون اليه بالذهن من غير حاجة الى تفكر وطلب

## ﴿ فصل ﴾

للانسان في استفادة العلم وافادته ثلاثة أحوال حال استفادة  
 فقط وحال استفادة ممن فوقة وافادة لمن دونه وحال افادة فقط وقل  
 من يستحق ان يوجد مفيدا غير مستفيد ففوق كل ذي علم عليم الى ان  
 ينتهي الامر الى اعلام الغيوب فقد نبه الله تعالى على الحاجة الى الاستفادة  
 بما حكاه من قول موسى عليه السلام لصاحبه ( هل اتبعك على ان

تعلمني مما علمت (رشدا) ونبه بما ذكر في قصة سليمان عليه السلام  
 عن الهدهد بقوله (احظت بما لم تحط به علما) ان الكبير قد يفتقر الي  
 الصغير في بعض العلوم فاذا الانسان مادام حيا يجب أن لا يخرج  
 من كونه مستفيدا ومفيدا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس عالم  
 ومتعلم وما سواهما همج

### ﴿ الباب الرابع والعشرون ﴾

في ان الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها  
 لم يكلف الله الناس عبادة له ليتنفع هو تعالى بها انتفاع المولى  
 باستعباد عبده واستخدام خدمه فان الله غني عن العالمين ولا ليؤدبهم  
 فقد قال تعالى ( يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) بل كلفهم  
 ليزيل انجاسهم وامراضهم النفسية فبذلك يمكنهم ان يحصلوا حياة  
 أبدية وسلامة باقية سرمدية فان من ولد يكون ميتا بالاضافة الى  
 أصحاب الدار الآخرة وفاقد العين التي بها يعرفهم والسمع الذي به  
 يسمع تحاورهم واللسان الذي به يخاطبونه ويخاطبهم والعقل الذي  
 به يعقلهم فليس تلكم الحياة والعين والسمع ما للانسان في الحياة الدنيا  
 وكيف يكون كذلك وقد نفي الله ذلك عن الكفار وجعلهم أمواتا

وصما وبكما وعميا فان الانسان له قوة على تحصيل تلك الامور في  
ابتداء أمره وان أهمل نفسه فانت عنه تلك القوة فلا يمكنه بعد قبول  
ذلك كالفحم اذا صار رمادا فلا يقبل بعد ذلك نار اقمنا استمر في  
كفره وفسقه وتمادي فيه صار اما ميتا أو مريضا أو أصم لا يقبل  
الشفاء ولذلك قال الله تعالى فيمن ثكل هذه القوة ( انك لا تسمع  
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي  
عن ضلالتهم) وقال تعالى ( صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى  
( في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) وقال  
تعالى ( انما المشركون نجس) وقال تعالى في المؤمنین ( لينذر من كان  
حيا) وقال فيهم (أولي الايدي والابصار) فمن استفاد الحياة والصحة  
والطهارة قبل ان تبطل عنه هذه القوى أعنى قبول ذلك فصار حيا  
سميعا بصيرا طاهرا وحصل زادا كما أمره الله تعالى بقوله (وتزودا  
فان خير الزاد التقوى) واهتدى بالدليل الموصوف بقوله تعالى (وانك  
تهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في  
الارض الا الى الله تصير الامور) واثمر له تعالى بقوله (سابقوا الى  
عقرة من ربكم) واقتدى بالموصوفين بقوله سبحانه (يسارعون في

الخيرات) فجدير ان يفلح فيحصل هذه السعادة كما قال الله تعالى  
(لعلكم تفاجون)

— الباب الخامس والعشرون —

في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع  
كما ان في بدن الانسان عوارض وأمورا موجودة عند الولادة  
أو توجد حالا فحالا بحكمة تقتضى ذلك وهي تعد نجاسات لا بد  
من إمامتها كلها وإمادة فضولاتها وذلك كالسلي<sup>(١)</sup> والسرة والقلقة  
والعقيدة الموجودة في الصبي عند الولادة وكالاوساخ والقمل والظفر  
وشعر العانة وشعر الإبطن كذلك في نفس الانسان عوارض هي  
نجاسات وأمراض نفسانية يلزم إمامتها كالجهل والشره والعجلة  
والشح والظلم . ويدل على كون ذلك مخلوقا فيه وأمره باماطته  
واماطة فضلاته ما ذكر الله تعالى في مواضع من كتابه بقوله «خلق  
الانسان من عجل» فذكر انه مخلوق منه كما تري . ثم امره ان  
ينحيه عن نفسه وان لا يستعين به فقال (سأريكم آياتي فلا تستعجلون)  
وقوله تعالى (انه كان ظلوما جهولا) ثم أمره بالعلم والعدل في غير موضع

(١) السلي على وزن الحصى الذي يكون فيه الولد

من كتابه . وقوله تعالى (واحضرت الانفس الشح ) ثم قال ( ومن  
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) فأمره باتقاء الشح مع احضاره  
اياه . وقوله تعالى ( ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا  
مسه الخير منوعا ) ووصفه بالكفور والقتور في قوله ( وكان الانسان  
كفوراً ) وقوله تعالى ( قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا  
لأمسكنم خشية الاتفاق وكان الانسان قتورا ) فأدخل عليه كان  
تنبيها على ان ذلك فيه غريزي موحود قبل لا هو شيء طاريء عليه .  
وقوله تعالى ( وكان الانسان أكثر شيء جدلاً ) ثم نهى عن أكثر  
الجدال فالإنسان يحتاج ان يستعمل هذه القوى في الدنيا كما يجب  
وفي وقت ما يجب وبقدر ما يجب وان يميظ فضولاتها قبل خروجه  
من الدنيا حسب ماوردت به الشريعة فانه متى لم يتطهر من  
النجاسة ولم يزل أمراض نفسه لم يجد سبيلا الى نعيم الآخرة بل ولا  
الى طيب الحياة الدنيا وذلك ان من تطهر تجلى عن قلبه الغشاوة فيعلم  
الحق حقا والباطل باطلا فلا يشغله الا ما يعنيه ولا يتناول الا ما يعنيه  
فيحيا حياة طيبة كما قال تعالى ( فلنحيينه حياة طيبة ) ولا تصير  
قنياته في الدنيا وبالاعلى وعذابا كما قال الله تعالى في الكفار ( فلا



تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) ويصير قلبه اذا تطهر مقر السكينة والارواح الطيبة كما وصف الله تعالى المؤمنين بقوله (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وعرف الطريق التي بها التوصل الى الجنة المأوي ومصاحبة الملائكة الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فيسارع في الخيرات ويسابق الى مغفرة من ربه ومتى بقيت نجاسته وتزايدت صار قلبه مقر الشبه والاثام كما قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم) ولا يجد سبيلا الى سعادة الدار الآخرة كما قال الله تعالى (ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلاً انا خلقناهم مما يعلمون) فنبه على انه لا يصلح لجنته ما لم تطهر ذاته عن اشياء هي مخلوقة فيها وعلى هذا دل قوله تعالى (ما كان الله لينذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) . فحق الانسان ان يراعى هذه القوى في صلاحها ويستعملها على الوجه الذي يجب وكما يجب ليكون كمن وصفه الله تعالى بقوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما

كنتم تعملون) وقد يقع للانسان شبهة في امر هذه النجاسات فيقول  
 اترى ان ذلك من عند غير الله فان كان من غيره فمن اين يوجد ومن  
 اين منبعه وان كان منه فما المعنى في ان اوجده في الانسان ثم امره  
 بان يزيله فيقال ما من شيء اوجده الله او امكن من ايجاده الا  
 وفيه حكمة ومنفعة وان لم يعرف ذلك البشر لكن من الاشياء  
 ما تقع في وقت مخصوص او اذا كان على قدر مخصوص ثم اذا  
 استغنى عنه او زاد على قدر ما يحتاج اليه يجب ان يزال وذلك اذا  
 توؤمل ظاهر اذ من المعلوم ان السلا والسرة يحتاج اليهما لصيانة  
 الولد في وقت ثم يستغنى عنهما فيكون ابقاءهما بعد نجاسة والشعر  
 والظفر يحتاج اليهما اذا كانا على حد واذا زاد اوجب اماطتهما

### الباب السادس والعشرون

في القوي التي يجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل منها  
 ازاله النجاسة واجتلاب الطهارة المذكورة في قوله تعالى (انما  
 يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)  
 واكتساب الصحة واماطة المرض المذكور في قوله تعالى ( في  
 قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ) يكون باصلاح القوي الثلاثة

التي هي دواعي الانسان في متصرفاته وهي قوة الشهوة وقوة الحمية وقوة الفكر فباصلاح قوة الشهوة تحصل العفة فيحترز بها من الشره وامانة الشهوة ويتحرى المصلحة في المأكل والمشروب والملبوس والمنكوح وطلب الراحة وغير ذلك من اللذات الحسية وباصلاح قوة الحمية تحصل الشجاعة فيحترز من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد في الخوف والغضب والانفة وغير ذلك وباصلاح قوة الفكر تحصل الحكمة حتى يحترز من البله والجريرة<sup>(١)</sup> ويتحرى الاقتصاد في تدبير الامور الدنيوية وليس نعى بالحكمة ههنا العلوم النظرية وانما نعى بها الحكمة العلمية التي يتحرى بها المصالح الدنيوية وباصلاح هذه القوى يحصل في الانسان قوة العدالة فيقتدى بالله تعالى في سياسة نفسه وسياسة غيره فنفس الانسان معادية له كما قال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك فمن ادبها أو قمعها امن ظلمها والى هذا اشار الله تعالى

(١) الجربز بالضم الحثيث معرب كرز والمضدر الجزيرة والحث بالفتح والكسر الرجل الحداع

بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى لا يخاف ان تظلمه نفسه الشهوية فالاعمال الصالحة حصن منها لقول الله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

—  
 ❦ الباب السابع والعشرون ❦

في كون الانسان مفطورا على اصلاح النفس

الانسان مفطور في اصل الخلقة على ان يصلح افعاله واخلاقه وتميزه وعلى ان يفسدها ويمسر له ان يسلك طريق الخير والشر وان كان منهم من هو بالجملة الى احدهما اميل . وعلى تمكنه من السبيلين دل الله بقوله (انا هديناه السبيل اما شاكر او اما كفورا) وقوله تعالى (وهديناه النجدين) أى عرفناه الطريقين وكما انه مفطور على اكتساب الاسرين في ابتدائه مفطور على انه اذا تعاطى احدهما ان خير او ان شر الفه فاذا الفه تعودده واذا تعودده تطبع به واذا تطبع به صار له طبعا وملكة فيصير فيه بحيث لو اراد ان يتركه لم يمكنه كما قيل

❦ وتأبى الطباع على الناقل ❦

ویكون مثله كمثل شجر نبت فاعوج سهل فی الابتداء  
 تثقیفه و تسویته بخیط یشد فیہ أو بخشب یفرش بجنبه فیسدد به  
 ثم اذا غلظ واشتد مستویا من ان یعوج بل لا یمکن تعویجه وان  
 ترك حتی یعوج فیصلب علی عوجه لم یمکن بعد تثقیفه كما قال الشاعر  
 یقوم بالثقاف العود لدنا ولا یتقوم العود الصلیب  
 وعلی هذا الوجه قال الله تعالی ان الحسنات یدهبن السیئات  
 . وقال تعالی (ویدرأون بالحسنة السيئة) وقد توهم قوم ان لا اثر  
 للتأديب والتهذيب فان الناس مجبولون علی طبائع لا سبیل الی  
 تغییرها فمنهم اخیار بالطبع ومنهم اشرار بالطبع واستدلوا بقول  
 الله تعالی (قل كل يعمل على شاكته) وقوله تعالی (فطرة الله التي فطر  
 الناس علیها لا تبديل لخلق الله) فنبه الله بهذا المعنی علی ان كل انسان  
 علی حال لا سبیل الی تغییرها . وقول النبی صلی الله علیه وسلم  
 كل میسر لما خلق له . وقوله علیه السلام (فرغ ربکم من الخلق والخلق  
 والرزق والاجل) وبقوله تعالی (ولقد اصطفیناه فی الدنیا وانه فی  
 الآخرة لمن الصالحین) وقوله (انا اخالصناهم بخالصه ذکری الدار  
 وانهم عندنا لمن المصطفین الاخیار) وقوله (ولقد اخترناهم علی

علم على العالمين) والناس وان تفاوتوا في اصل الخلقة فما احد الا وله  
قوة على اكتساب قدر مامن الفضيلة ولولا ذلك لبطات فائدة  
الوعظ والانذار والتأديب

الباب الثامن والعشرون

في سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة

سبب تأخر الانسان عن الفضيلة لا يخلم من أوجه امان  
يكون نقصا في اصل خلقته وعجزا امر كبا في جبلته يتقاعده عن تحصيل  
القوة وجمع الآلة التي يتوصل بها الى السعادة كمن تضعف نحيزته<sup>(١)</sup>  
أولا يفضل عن طلب معاشه الضرورية في وقته أولا يجد هاديا  
يرشده فمن كان كذلك فمعذور لقوله تعالى (لا يكف الله نفسا  
الا وسعها) واما انه غير عاجز عن ذلك لكن لم يساعده على بلوغه  
عمره فذلك قد وقع اجره على الله كما قال الله تعالى (ومن يخرج من بيته  
مهاجرا الى الله ورسوله تم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) واما  
ان يتفق له مرب ومعلم مفضل فيضله عن الطريق وهذا ان لم يتمكن من  
الاهتداء بمن يرشده وليس له يدركه الموت فقد وقع اجره على الله

(١) التحيزة البيطعة

لمن قضايله لاله كما قال الله تعالى في المضلين (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء مايزرون) وان تمكن بعد ممن يهديه فلم يهتد به يكون هو ومضله مشتركين في الاثم كما قال الله تعالى (احشروا الذين ظلموا وازواجهم) واما ان يكون ضلاله من جهة نفسه لا من جهة شيء مما تقدم وذلك هو المتوعد بالعذاب فمن ازاح الله عنته بالفهم والكفاية والعلم الناصح فرغب عن الاهتداء وترك طريقة الرشاد يكون كمن وصفه الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وبقوله (ولقد آريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) واكثر منه عقوبة من استفاد العلم وعرف الحق وسلك من طريق الخير صراحتا ثم ارتد عنها راجعا كمن وصفه الله بقوله (ان الذين ارتدوا على اذبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم) وبقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه الآية)

—————  
 ❦ الباب التاسع والعشرون ❦

في احوال الناس ومنازلهم وفي تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها

الناس في اقامة العبادات وتحري الخيرات على اربعة اضرب  
الاول من له العلم بما يجب ان يفعل وله مع ذلك قوة العزيمة على  
العمل به وهم الموصوفون بقوله عز وجل في غير موضع (الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) (الثاني من عدمها جميعا وهم  
الموصوفون بقول الله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم  
الذين لا يعقلون . وقوله ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا)  
الثالث من له العلم وليس له قوة العزيمة على فعله فهو في مرتبة الجاهل  
بل هو شر منه كما روى ان حكيماسئل متى يكون العلم شرا من الجهل  
فقال ان لا يعمل به . وروي عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه  
انه قال من كانت ضلالته بعد التصديق بالحق فهو بعيد من المغفرة  
\* الرابع من ليس له العلم لكن له قوة العزيمة فهذا متى انقاد لاهل العلم  
وعمل بقولهم انجح في فعله وصار من الموصوفين بقوله تعالى (أولئك مع  
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين  
وحسن أولئك رفيقا)

والافعال الجميلة والقبیحة يقوي الانسان فيها بتكريرها مرارا  
كثيرة وزمانا طويلا وقتا بعد وقت في اوقات متفاوتة فان من فعل



ذلك في شيء اعتاده واذا اعتاده تخلق به فالحذق في الصنعة كالكتابة  
مثلا يكون باعتياده فعل من هو حاذق في الكتابة. والافعال التي  
تحصل عن الاخلاق بعد حصولها هي بأعيانها الافعال التي يتعاطاها  
المتخلاق بها حتى تصير خلقا فحق الانسان ان يتدرب بفعل الخير فان  
من تعود فعلا صار له ملكة كالصبي قديما لعب بتعاطي صنعة فيؤدي  
لعبه بها الى ان يتعلمها

## ﴿ فصل ﴾

العبادات تكون محمودة اذا تعاطاها الانسان طوعا واختارا  
لا اتفاقا واضطرارا ودائما لا في زمان دون زمان ولا جل ان ذاتها  
حسنة لا لاجل غيرها فمن اقامها على هذا الوجه فهو الموصوف  
بقوله تعالى ( واخلصوا دينهم لله فأوائك مع المؤمنين وسوف يؤتي  
الله المؤمنين أجرا عظيما ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم اخلص  
يكفك القليل من العمل ولا يرضي تعالى الا الاخلاص كما قال الله تعالى  
( الا لله الدين الخالص ) . فان من فعل خيرا نحو ان يصلي لانه اتفق  
اجتماعه مع المصلين فساعدتهم أو اكره ان يصلي أو صلاها في شهر

رمضان مثلاً دون سائر الاوقات أولاً لجل ان ينال بها جاهها أو مالا  
فليس ذلك ممن يستحق بها محمدة و كذا من ترك قبيحاً أما اتفاقاً  
أو اضطراراً أو خوفاً أو في زمان دون زمان أو لان ينال بذلك أمراً  
دنيوياً فليس بمحمود ولهذا قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في  
سبيل الله ثم لا يتبعون ما اتفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . تنبيهها على ان من لم ينفق ماله  
هكذا ويعلموه خوف من الفقر وحزن على الانفاق فلا يحصل له بذلك  
فضيلة ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن  
والاذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر  
فمثلته كمثل صفوان عليه تراب . . الآية

— ❦ الباب الثلاثون ❦ —

في ارتداد الناس من طريق الخير والشر

للانسان فيما يتحراه من الخير والشر حالتان حالة يتمكن  
فيها من الارتداد على ادباره فيما يتعاطاه ان خيراً وان شراً وذلك  
قبل ان يمعن في سيره ويتناهى في ممره وحالة يتعذر عليه الارتداد  
على ادباره بل لا يكون له سبيل الى الرجوع وذلك اذا امعن في

سيره وتناهي في ممره. وذلك ان كل من كان متعاطيا لفعل خير  
فتكاسل عنه ومتعاطيا لشر فلم يقلع عنه أورثه كسله ضيق صدره  
بتحري الخير كما قال الله تعالى (ومن يرد ان يضله يجعل صدره  
ضيقا حرجا). وانشرح صدره بفعل الشر كما قال تعالى (أفمن زين  
له سوء عمله فراه حسنا). فان استمر على ذلك ولم يقلع أورثه ذلك رينا  
كما قال الله تعالى (كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فان  
تمادي في ذلك واستمر أورثه ذلك غشاوة كما قال تعالى (فأغشيناهم  
فهم لا يبصرون) فان ازداد أورثه ذلك طبعاً وختماً كما قال تعالى (ختم  
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) وقوله (أفرايت من  
اتخذ آلهه هواء وأضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على  
بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون). فان ازداد  
صار ذلك قفلاً كما قال الله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب  
أقفالها) ثم اذا تمادي صار قلبه موتاً قلماً ترجى له حياة فلا تنفعه الآيات  
والنذر كما قال الله تعالى (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء  
اذا ما يندرون). ومن حيث ان الله تعالى علم من احوال من بلغ هذا  
المبلغ انه لا يتوب ولا يؤب قال الله تعالى (ان الذين كفروا بعد

ایمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون )  
 فلم یرد تعالیٰ انهم اذا تابوا لن تقبل توبتهم بل نبه بذلك علی انهم  
 لا یتوبون فتقبل توبتهم فدل منتهی الفعل علی مبدأه وهذا من  
 كلامهم كقول الشاعر

(ولایری الضبُّ بهانجحر)<sup>(١)</sup>

أی لیس بهاضب فینجحرفنقی انجحرالضب وهو فی الحقیقة  
 تقی لوجود الضب بهاوعلی هذا دل قوله تعالیٰ ( ان الذین آمنوا  
 ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم یکن الله لیغفر لهم  
 ولا لیهدیهم سبیلا ) ای لم یكونوا یتوبوا فینغفر لهم وعلى هذا قال  
 الله تعالیٰ ( انما التوبة علی الله للذین یعملون السوء بجهالة ثم یتوبون  
 من قریب ) . تبیها علی ان هو لا هم الذین یرجی لهم التوبة وعلى  
 هذه الجملة المذكورة قال النبی صلی الله علیه وسلم اذا اذنب الرجل  
 نکت علی قلبه نکتة سوداء فاذا اذنب ثانيا نکتة أخرى فلا یزال  
 كذلك حتی یصیر قلبه کلون الشاة الرمداء . وفي خبر آخر الذنب علی

(١) جحر الضب دخل جحره وهو کل شیء تحفره السباع والهوام

یا نفسها وجحر فلان الضب ادخله فیہ فأنجحر

الذنب حتى يسود القلب فلا ترجى له الا نابة . وكذا حال الانسان فيما  
يتعاطاه من فعل الخير فان من صبر في اقرار الحسنه اوره صبره  
حسنا كما وصف الله به الصابرين في مواضع من كتابه قال تعالى (ومن  
يقترف حسنة نزدله فيها حسنا) فان استمر في ذلك بعض الاستمرار  
اهتز ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى ( فمن يرد الله ان  
يهديه يشرح صدره للاسلام ) . فان دام على ذلك امتحن وتطهر قلبه  
كما قال الله تعالى ( أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ) . ويكون  
كما وصفه في هذه السورة ( ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في  
قلوبكم وكره اليكم الكفر والنسوق والعصيان أولئك هم الراشدون  
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ) فان تزايد في فعله انضم  
اليه من الله تعالى باعث يهزه وداع يبعثه عليه كما قال الله تعالى ( هو  
الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ) .  
فحق الانسان ان لا يسامح نفسه في الاجتهاد وان لا يخل بخير  
تعوده ولا يرخص لها في شر ارتكبه فتعاطي صغير الذنب يفضي الى  
ارتكاب الكبير والاخلال بقليل الخير يودى الى الاخلال بكثيره  
كما قال الشاعر

وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب  
 وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله «ان الذين ارتدوا على اذارهم  
 من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا  
 للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر» فتيين ان قولهم  
 للذين كرهوا ما نزل الله ادى بهم الى الارتداد على اذارهم وقال تعالى  
 (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض  
 ما كسبوا) فنبه على ان بعض ما كسبوا ادى بهم الى الانهزام فالمتدرب  
 في فعل الخير المتقوى فيه يصير بحيث يكون له من الله تعالى واقية تحفظه  
 عن الافعال القبيحة وتحثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة  
 وعلى ذلك نبه الله تعالى في صفة اوليائه بقوله (اولئك كتب في  
 قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا  
 عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) والمتدرب بفعل  
 الشر المتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له بما ارتكبه من القبائح باعث  
 يبعثه على الافعال القبيحة ويحثه على الافعال السيئة ويسد عليه طرق  
 الافعال الحسنة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله في صفة اعدائه (انا جعلنا  
 في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم

سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال تعالى (ومن  
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم  
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون) وقال تعالى (انا جعلنا الشياطين  
أولياء للذين لا يؤمنون) وقد نسب الله هداية العبد وضلاله جميعا الى  
نفسه من حيث انه جعل خلقه وطبعه بحيث اذا تعاطى فعلا ان خيرا  
وان شرا فاستمر عليه يصير ذلك طبعه ملازما لا يرجع عنه  
ولم ينسب المنع من الايمان الى نفسه الا بعد ذكر ما كان من  
اسائة العبد نحو قوله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)  
فخص الذين لا يؤمنون بان جعل الشيطان أوليائهم وقال تعالى  
(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد  
كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير  
وقال تعالى) ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم  
يعمّهون) قال الشاعر

زين في عينك القبيح كما زين في عين غيرك الحسن

الباب الحادى والثلاثون

في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة

الانسان لما كان على هيئة العالم أوجد فيه كل ما أوجد في  
 العالم وكان في العالم اشياء لا يتأتى اصلاحها وحيوانات لا يمكن تأديبها  
 كذلك في الانسان قوبى لا يتأتى اصلاحها وتهذيبها وكان له مع ذلك  
 مشبطات عمّا صر به وتقصير عما كلف ولهذا قال الله تعالى (قتل الانسان  
 ما كفره من أي شئ خلقه . الى قوله كلاً لما يقض ما امره) فنبه على  
 ان الانسان لا يكاد يخرج من دنياه وقد قضى وطره ولذلك يجب  
 على الانسان ان يجتهد في اداء ما يمكنه ويظهر نفسه بقدر ما يتيسر له  
 والرغبة الى الله تعالى في تكفير ما قصر فيه ويتحقق انه اذا فعل ما يمكنه  
 فقد اعذر لقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) فاذا فعل ما يمكنه  
 يكون قد ترشح ان يزيل الله عنه باقي السيئات كما قال الله تعالى (يا ايها  
 الذي آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم  
 سيئاتكم) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم  
 سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً) ولهذا امرنا تعالى ان ندعى  
 الدعاء بقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) وقال تعالى (والذين  
 آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا  
 فأمرنا ان نرغب اليه في اتمام ما قصرنا عن اكتسابه وقوله (والذي



جاء بالصدق الى قوله (ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم  
 اجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) ولهذه الجملة قال جعفر الصادق  
 رضى الله عنه من زعم انه يصل الى الحق ببذل المجهود فهو متعن  
 ومن زعم انه يصل اليه بغير بذل المجهود فهو متمن \* ولقصور  
 الانسان عن تزكية نفسه بالتمام قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل  
 الجنة بعمله قيل ولا انت يا نبي الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته  
 وقال تعالى تنبيهها على هذا المعنى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي  
 منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء) وبيان قصور  
 الانسان عن تزكية نفسه على التمام هو ان الانسان حيوان ناطق  
 متفكر والحيوان جوهر متنفس حساس والمتنفس جوهر متغذ مترب  
 لا قوام له الا بالغذاء كما قال الله تعالى (وما جعلناهم جسدا لايأكلون  
 الطعام وما كانوا خالدين فالانسان مادام في الدنيا لا ينفك عن  
 مشاركة البهائم والسباع لكونه حيوانا محتاجا الى ما تحتاج اليه وعن  
 مشاركة الاشجار والنبات لكونه متنفسا محتاجا الى ما تحتاج اليه .  
 والانسان اذا لم يفتحم العقبة ويفك الرقبة وما لم يتعر عن الحاجات  
 الدنية لم يأمن شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقال الله تعالى

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) قال بعض المفسرين ان ابراهيم لما سأل الله تعالى فقال (رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) انما سأل ان يريه الحياة المتعزية عن العوارض العارضة للحيوانات فقال اولم تؤمن أى اولم تتحقق قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أى ليتصور لى كيفيه الطمأنينة أى تبرى النفس من الشره والحرص والامل والافتخار واعاين الحالة المذكورة فى قوله تعالى (يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادى وادخلي جنتى) فأمره ان يأخذ أربعة طيور غرابا وهو المخصوص بالحرص والشره ونسرا وهو المخصوص بالامل وطاووسا وهو المخصوص بالافتخار . وديكا وهو المخصوص بالشبق فأمره ان يقطعهن ويصرهن أى يدعوهن ولما فعل ذلك صرن اليه عاجلا فنبه الله تعالى بذلك على ان الانسان وان اجتهد كل الاجتهاد فى حذف هذه المعانى عن نفسه وتطهير ذاته منها لن يتطهر مادامت البشرية الدنيوية حاصلة له ولن تحصل له الطمأنينة المطلوبة . فاما ما يدعيه قوم ان من الناس من قد تجرد عن هذه الخصاص حتى يستغنى عن

الطعام والشراب ويصير بحيث لا تعتريه الاخلاق البهيمية فهذا ان  
 حصل في بعض الناس فان ذلك يكون حينئذ ما كما تشبها يسمى  
 باسم الانسان على سبيل الاشتراك في الاسم فيكون متبدل الجوهر  
 تبدل جوهر النار اذا صارت بردا وسلاما وتبدل الدعوص<sup>(١)</sup> اذا  
 صار ضفدعا والدود اذا صار فراشا وكثيرا من النبات اذا صار جوهر  
 آخر وحيوانا كدودة القز وليس ذلك بمنكر في القدرة الالهية  
 وهو حينئذ خارج عن الاستصلاح للافعال التي خلق الانسان  
 لاجلها مستخلفا في الارض مستعمرا فيها

## ﴿فصل﴾

• اعلم ان من هاجر الى الله وجاهد في سبيله فحقيق ان يهديه الى  
 سبيله كما وعده في قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)  
 وقال والذين آمنوا من بعدو هاجروا وجاهدوا الي قوله (اولئك هم  
 المؤمنون حقا) والهجرة العظمى هجران فضول الشهوات والمجاهدة  
 الكبرى مدافعة الهوى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم جهادك في  
 هواك • فمن هدى الي سبيله وامعن في مسيره مسارعا في

(١) الدعوص دويبة توجد في الغدران

الخيرات ومسابقا الى مغفرة ربه فحقيق ان يصير من الابدال  
 ومعني الابدال هم الذين يبدلون من اخلاقهم وافعالهم الذميمة  
 اخلاقا وافعالا حميدة فيجعلون بدل الجهل العلم و بدل الشح  
 الجود و بدل الشره العفة و بدل الظلم العدالة و بدل الطيش التؤدة  
 وعلى ذلك دل قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله الها آخر  
 ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى قوله يبدل الله سيئاتهم  
 حسنات) والانسان اذا صار من الابدال فقد ارتقي الى درجة  
 الاحباب الذين عناهم الله تعالى بقوله (فسوف يأتي الله بقوم  
 يحبهم ويحبونه) فيجعله مهيبا في البشر معظم القدر عند كل احد  
 بل قد يبلغ مبلغا تخضع له البهائم والسباع والوحوش والحشرات  
 كخضوعها لسليمان بن داود عليهما السلام ويصير الحديد له لينا  
 كما لان لنييه داود عليه السلام وتصير النار له اذا خاضها بردا  
 وسلاما كما صارت على ابراهيم عليه السلام وتقاداه الريح فيركبها  
 كركوب سليمان وتسخر له المياه فيمشي عليها كتسخيرها للخضر  
 عليه السلام ويكلمه النبات والمعادن والافلاك والنجوم فتفقه على  
 منافعها وتخبره بسر ائرها كما كلمتها لادريس عليه السلام\* روى انه

اذا احب الله عبدا البسه صورة من صورته وتنفخ فيه روحا من روحه  
 حتى ينقاد له كل حجر ومدر ويتواضع له كل طائر وسبع بل قد  
 يخصصه بكرامات لا يمكن ان يطلع على معرفتها غير من خص بها كما قال  
 النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا  
 عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال تعالى  
 اشارة لها هذا المعنى ( فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين )  
 وهذه الاحوال كما تكون للانبياء فقد تكون للاولياء المخصوصين  
 بالكرامة وليس ذلك بمستبدع ولا منكر في قدرة الله تعالى ولا  
 بمناف في حكمته كما ظن بعض المتكلمين ان ذلك اظهره على غير  
 انبيائه لا يؤمن ان يفتن به الناس وانه يؤدى الى اشتباه امر المعجزة  
 على الكافة فان احكم الحاكمين لا يؤتى هذه المكرمة الا من هو  
 أهلها كما نبه عليه سبحانه بقوله ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) ومن  
 بلغه هذه المنزلة فقد آتاه لاشك من العلم والحكمة قدر ما يهديه  
 ويؤدبه وعرف ما يسكة فيستقيم كما أمر فيه فيعرف قدره  
 ولا يتعدى طوره

### الباب الثاني والثلاثون

في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل بعده من السعادة  
 لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة الاجماع من الطبيعيين اهملوا  
 افكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم عن التفكير في مبدأهم ومنشأهم  
 شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة في قوله تعالى  
 ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة  
 من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرب ذلك متاع  
 الحياة الدنيا ) وأما من كان سويا ولم يمش مكبا على وجهه لكونه  
 كالانعام بل هم أضل سبيلا وتأمل أجزاء العالم علم ان أفضلها  
 ذوات الارواح وأفضل ذوات الارواح ذوو الارادة والاختيار  
 في هذا العالم وأفضل ذوي الارادة والاختيار الناظر في العواقب  
 وهو الانسان فيعلم ان النظر في العواقب من خاصية الانسان وانه لم  
 يجعل تعالى هذه الخاصية له الا لامر جعله له في العقبى والا كان وجود  
 هذه القوة فيه باطلا فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه  
 الحياة الخسيسة المملوءة نصبا وهما وحرزا ولا يكون بعده حال  
 مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان فيقتضى ان

تكون هذه الحكم الالهية والبدائع الربانية التي أظهرها الله تعالى في الانسان عبثا كما نبه الله عليه بقوله تعالى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ) فان أحكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سوى ما تشاركه فيه البهائم من الاكل والشرب والفساد مع ما يشوبه من التعب الذي قد أغنى عنه الحيوانات سفهه ( كالتى نقضت غزلها من بعد قوة مانكاثا ) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وما اظهر عند من القي عن مناكبه دثار العماية صدق أمير المؤمنين على عليه السلام في قوله الدنيا دار ممر لا دار مقر فأعبروها ولا تعمرونها وقد خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم القرار وكثير من الجهال اغتروا بقوم وصفوا بوفور العقل في أمور الدنيا حيث انكروا امر الآخرة فقالوا لو كان ذلك حقا لم ينكره أمثالهم مع وفور عقولهم وكثرة فهمهم ولم يعلموا ان العقل وان كان جوهر شريفا فانه لا يتوجه الا حيث وجه ولا غناء له الا فيما اليه صرف فاذا صرف الى أمور الآخرة احكمها واذا صرف الى أمور الدنيا قبلها وعكف عليها وأخل بما سواها فتقصر بصيرته حينئذ عن الامور

الآخروية كما نبه الله عليه في غير موضع من كتابه وقد تقدم  
القول فيه

## ﴿فصل﴾

اعلم ان الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح للبدن هو  
احد الاسباب الموصلة للانسان الى النعيم الابدى وهو انتقال من  
دار الى دار كما روي انكم خلقتم للابد لكنكم تنقلون من دار  
الي دار حتى يستقر بكم القرار فهو وان كان في الظاهر فناء واضمحلالا  
فهو في الحقيقة ولادة ثانية قال الشاعر في ذلك

تمخضت المنون له يوم أتى ولكل حاملة تمام  
فانه جعل للمنون حملا كحمل المرأة وتمخضا كتمخضها وولادة  
كولادتها تنبيه على انه احد اسباب الكون . قال بعضهم الانسان  
مادام في دنياه جار مجرى الفرخ في البيضة فكما ان من كمال  
الفرخ تفلق البيض عنه وخروجه منه كذلك من شرط كمال الانسان  
مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الانسان فالموت اذا ضرورى  
في كمال الانسانية ولكون الموت سببا للانتقال من حال او وضع  
الى حال اشرف وارفع سماه الله تعالى توفيا وامسا كما عنده فقال



تعالى ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها  
 فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الي اجل مسمى )  
 ولهذا تقول العرب استأثر الله بفلان وحقق بالله ونحو ذلك من  
 الالفاظ ولاجل ان الموت الحيوانى انتقال من منزل ادنى الى  
 منزل اعلى احبه من وثق بماله عند الله ولم يكره هذا الا احدرجلين  
 احدهما من لا يؤمن بالاخرة وعندده ان لا حياة ولا نعيم الا في  
 الدنيا كمن وصفهم الله تعالى بقوله ( ولتجدنهم أحرص الناس على  
 حياة ومن الذين اشركوا يوحدهم لو يعمر الف سنة وما  
 هو بمزحزه من العذاب ان يعبر ) وقال بعض من هذه طريقتة  
 شعرا في هذا المعنى

خذ من الدنيا بحظ      قبل ان تنقل عنها  
 فهي دار ليس تلقى      بعدها أطيب منها  
 والثانى يؤمن به ولكن يخاف ذنبه فأما من لم يكن كذلك  
 فانه يحبه ويتمناه كما أحبه الصالحون وتمنوه . وقد روى عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب لقاء الله أحب لله لقاءه وقال تعالى  
 ( فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ) تنبيها على ان من يكون متحققا

بحسن حاله عند الله لم يكره الموت . فالموت هو باب من أبواب  
 الجنة منه يتوصل اليها ولو لم يكن موت لم تكن الجنة ولذلك من  
 الله تعالى به على الانسان فقال ( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم  
 ايكم احسن عملا ) فقدم الموت على الحياة تنبيها على انه يتوصل  
 به الى الحياة الحقيقية وعده علينا في نعمه فقال ( كيف تكفرون بالله  
 وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ) فجعل الموت انعاما  
 كما جعل الحياة انعاما لانه لما كانت الحياة الاخرية نعمة لا وصول  
 اليها الا بالموت فالموت نعمة لان السبب الذي يتوصل به الى النعمة  
 نعمة ولكون الموت ذريعة الى السعادة الكبرى لم يكن الانبياء  
 والحكماء يخافونه حتى قال أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه  
 السلام والله ما ابالي اقع على الموت أو يقع الموت على . وكانوا  
 يتوقعونه ويرون انهم في حبس فينتظرون البشر باطلاقهم . وعلى  
 هذا روى الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . وقيل انه لما مات داود  
 الطائي سمع هاتف يقول اطلق داود من السجن . قال الله تعالى  
 ( ولئن متم او قتلتم لاولى الله تحشرون ) تنبيها على ان الموت سبيل  
 الحياة المستفادة عند الله تعالى وقال تعالى ( ولئن قتلتم في سبيل الله او متم

لمغفرة عن الله ورحمة وخير مما يجمعون) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين  
 قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين . الآية وعلی  
 هذا نبه الله تعالى بقوله ( ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن  
 الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون  
 فنبه علی ان هذه التغيرات خلق احسن فنقض هذه البنية لاعادتها  
 علی وجه اشرف كالنوى المزروع الذي لا يصير نخلا مشمرا الا بعد  
 افساد جثتها وكذلك البر اذا اردنا ان نجعله زيادة في اجسامنا يحتاج  
 ان يطحن ويعجن ويخبز ويؤكل فيغير تغيرات كثيرة هي فساد  
 لها في الظاهر وكذلك البذر اذا القى في الارض يعده من لا يتصور  
 ماله وحاله فسادا فالنفس تحب البقاء في هذه الدار اذا كانت  
 قدرة راضية بالاعراض الدنوية رضا الجعل بالحش اوجاهة  
 بما لها في المال

### الباب الثالث والثلاثون

في فضيلة الانسان اذا شرف علی الملائكة

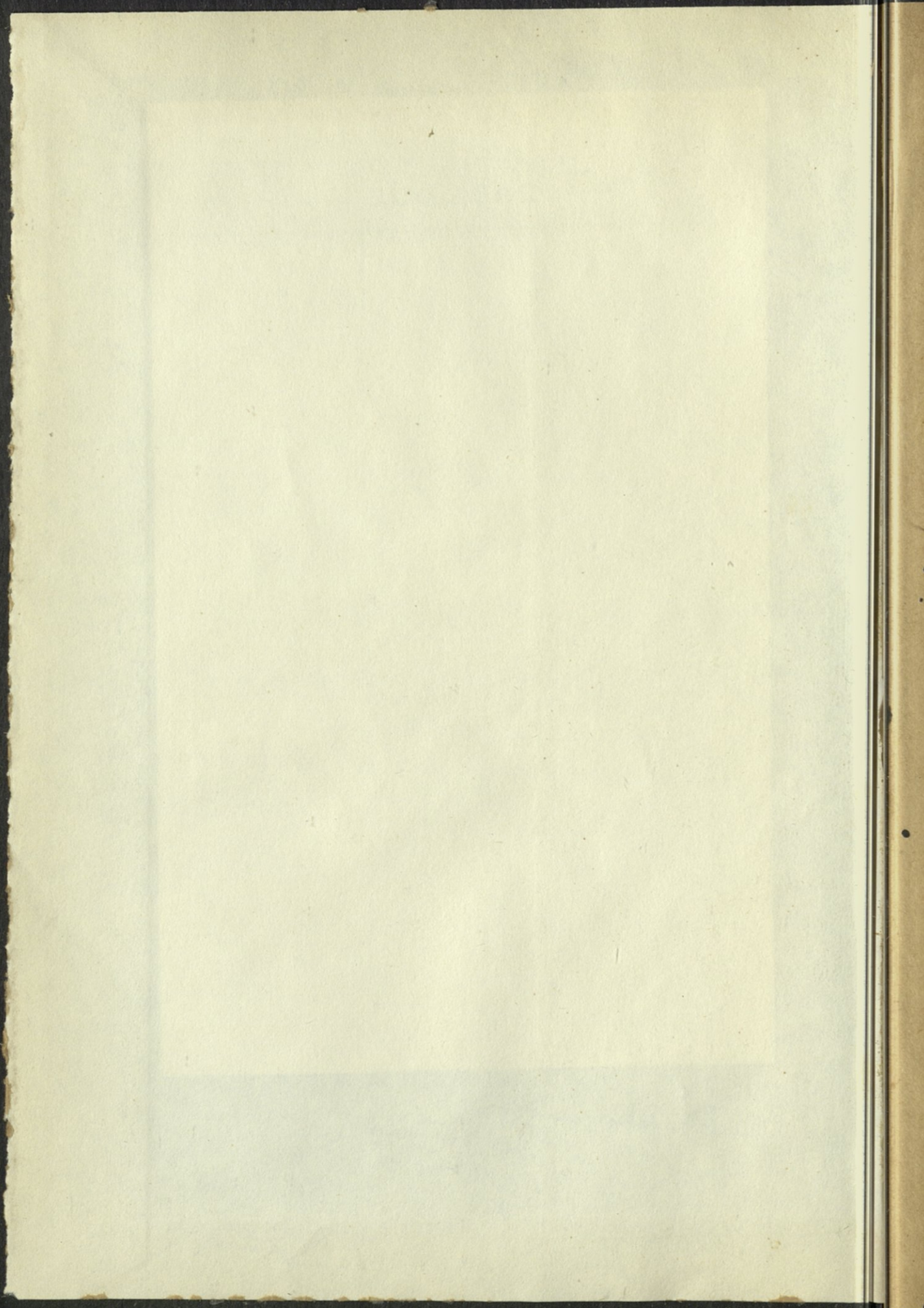
قد تقدم ان الناس ضربان ضرب لم يحظ من الانسانية الا بالصورة  
 التخطيطية من انتصاب القامة وعرض الظفر والقوة علی الضحك

ولغو من النطق بجري مجرى الماء والتصديقه وهو دون البهائم .  
 وضرب هو الانسان وهو المعنى بما خلق لاجله فمن كان كذلك فله  
 حالتان احدهما حالته وهو في الدنيا ولم يقتحم العقبة ويكفك الرقبة  
 بل هو صريع جوعه واسير شبعه تنته العرقة وتولمه البقرة وتقتله  
 الشارقة ولما يقض ما امره فهو مادام في دنياه لا يحكم له بانه افضل  
 من الملائكة على الاطلاق . والحالة الثانية قد اقتحم العقبة وفك الرقبة  
 بعد ما قضى ما امره فصار من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون  
 بل قد جعل في مقعد صدق عند مليك مقتدر ذا حياة بلا مات وغنى بلا  
 فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل وقد قامت الملائكة تخدمه كما قال تعالى  
 (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم  
 عقبى الدار) فحينئذ من جعل له هذه المنزلة فهو افضل من كثير من  
 الملائكة اعاننا الله على بلوغ هذه المنزلة وجعلنا من المترشحين لها  
 برحمته انه على ما يشاء قدير

فهذا آخر ما قصدت من بيان تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

نفعني الله به ومن نظرفيه برحمته انه على ما يشاء قدير والحمد

لله وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين





AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00490445

**CA**  
**297.23**  
**R142tA**  
**1905**